خواطر داعية

بسم الله الرحمن الرحيم

خواطر داعية

بقلم
الشيخ أحمد القطان

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية
١٤٤٥هجرية – ٢٠٢٤ ميلادية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين.

إن الحمد لله، نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ (النساء)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ (الأحزاب).

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فهذه مجموعة من الخواطر التي جالت في النفس، وحدثت في القلب، نقلتها إلى أحبابي المسلمين في جميع أقطار الدنيا.

ولقد كتب كثير من المفكرين خواطرهم، فجاءت على صورة مذكرات تاريخية أو دراسا نفسية، أو غير ذلك.

وإني إنما كتب خواطري هذه لما يعتمل في قلبي من ألم على حال المسلمين،

وما رأيته يدفعهم إلى العمل الجاد على المسار السليم، فجاءت على صورة من الأخلاق المحمدية والوقفات النبوية، والمطالع الخيرية التي يحتاجها كل مسلم في حياته.

إن الحال التي عليها إخواننا وأحبابنا من المسلمين تتسم بالجمود والدوران في حيز القول دون الفعل، وعدم الالتزام عقيدة وسلوكاً بمنهج الإسلام، وهم في غفلة عن أمر الآخرة، وما أعده الله للمحسنين منهم، الذين آمنوا وصدقوا في إيمانهم وامتثلوا في سلوكهم هذا الإيمان كما كان الصحابة رضوان الله عليهم نموذجاً حياً للقرآن الكريم، يحفظون الآية ثم لا يحفظون سواها حتى يطبقونها في واقع الحياة، وفي مجتمعهم وفي أهلهم.

إننا نريد من المسلمين أن يرتقوا ويرتفعوا إلى مرحلة التطبيق والعمل، وترك القيل والقال، وكثرة الاختلاف والسؤال، فالعمل هو المصداق للإيمان، وهو الهوية التي تترجم إيمان صاحبها.

أسأل الله لي ولإخواني وللمسلمين سلامة الاعتقاد، وحُسن العمل، وخير الجزاء يوم القيامة، إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

أحمد القطان

الفصل الأول

الرقائق

عجبت لمن...!!

- عجبت لمن يعرف الله ثم لا يعطيه.
- عجبت لمن يستحي من الناس ولا يستحي من الله.
- عجبت لمن يرفع ثوب امرأة حراماً، ويعلم أن الله ينظر إليه.
- عجبت لمن يعرف ربه في المرض ولا يعرفه في العافية.
- عجب لفقير يتمنى شهوات الفاسقين فيحشر معهم ولم يذق شيئاً، فهو محروم في الدنيا، ومحروم في الأخرة.
- عجبت لمن يعلم أن الله ملك الملوك، ثم يقف على أبواب السلاطين.
- عجبت لمن يعلم من نفسه أنه كذاب ثم يجتهد في إثبات صدقه للآخرين.
- عجب لغني ينتقل بالموت من دار إلى دار ثم لم يحول معه أمواله.
- عجبت لداعية إلى الله كسلان، وداعية إلى الشيطان يقظان.
- عجبت لمن يظن القيامة بعيدة، وقد تحول إليها معظم أحبابه.

ذكر الله وفضله

يتعين على المسلم دائماً أن يكون قلبه عامراً بمحبة الله، ولسانه رطباً بذكره في السراء والضراء، حتى يكون الله معه مؤيداً وناصراً له، ففي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من عرف الله في الرخاء عرفه الله في الشدة**».

هذه حقيقة ينبغي ألا يغفل عنها عاقل، ولكن بعض الناس يعرضون عن ربهم فلا يذكرونه إلا قليلاً، ولا يعرفونه في وقت السراء، ولكنهم إذا اشتد عليهم البلاء تذكروا ربهم والتجأوا إليه يطلبون العون والفرج.

يعرض هؤلاء عن ذكر ربهم وقت السراء، والله تعالى قد أمرنا أن نذكره في جميع أحوالنا وأوضاعنا ومهما كانت المشاغل، فهو سبحانه وتعالى يخاطب الآباء لا تشغلهم رعاية الأسرة عن ذكره فيقول سبحانه وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾ (المنافقون).

ولذلك يتحتم على الأب أن ينسق بين الأمرين معا (الذكر والرعاية) ومن هذا المنطلق لا يكون هناك مبرر للوالدين بالانشغال بتحصيل الرزق ورعاية الأولاد عن ذكر الله وعبادته، فهم مطالبون بالذكر في الأسواق وأثناء الأعمال، وفي التجارة لقوله تعالى:

﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِۙ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾ (النور).

فالآية تدل على أن من أبرز صفات المؤمنين: أنهم يراقبون الله ويذكرونه

حتى في داخل السوق، وما ذلك إلا لأن الذكر رحمة ونور وزيادة صلة بين العبد وربه.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ (سورة البقرة).

وفي الحديث: «**يأتي رجل للنبي صلى الله عليه وسلم فيقول: يا رسول الله أوصني بوصية أتشبث بها فيقول صلى الله عليه وسلم: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»**.

فما أجمل هذا التصوير: الذي يجعل لسان الذاكر رطباً، فكأنه بالذكر لا يعطش ولا يظمأ، لأن قلبه متصل بمورد لا يجف من التسبيح والتهليل.

وبعد أن دعانا الحق تبارك وتعالى بدوام ذكره بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ (الأحزاب).

شرع في بيان ما ينبغي أن يكون عليه الذاكر فقال تعالى:

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ (الأعراف).

فعلى الذاكر أن تكون حالته عند الذكر بين الخوف والرجاء، مستحضراً عظمة الله في قلبه مستبعداً الغرور عن نفسه. مستمراً في الذكر والعبادة طوال يومه، وفي ليله (بالغداة والعشي).

مصافحة القلوب

أخي وحبيبي في الله صافحني بقلبك قبل مصافحة يدك، وارفعني إلى روحك السامية بتواضعك للمؤمنين.

إن كثيراً من الناس يلقي عليك السلام، فيشعرك بالحرب لا بالسلام!! فعيونه جاحظة وصوته جاف، ووجه عابس، وأنفه شامخ، ثم يقول: السلام عليكم!!

لا يا أخي ما هكذا يلقى السلام.

تعلم قبل السلام ديباجة السلام!!

أولها: «**ابتسامتك في وجه أخيك صدقة**».

ثانيها: «**أهل الجنة كل هين لين سهل قريب من الله قريب من الناس**».

ثالثها: «**إذا التقى المسلمان واخذ كل واحد منهما بيد أخيه ثم حمدا الله وأثنيا عليه غفر لهما قبل أن يتفرقا، ولو كانت ذنوبهما مثل زبد البحر**».

رابعاً: «سلم على من عرفت ومن لم تعرف».

خامسها: «**أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**».

شموخ الطاعة وانكسار العاصي

إن المسلم إذا نظر إلى طاعته لله يخشى عليه الإدلال على الله والاستكثار، لهذا قال الله للرسول صلى الله عليه وسلم:

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ (المدثر).

بل إن عليه إذا أطاع الله واجتهد في الطاعة أن ينظر إلى توفيق الله له ولولا ربه لما أطاع واهتدى!!

وإن الله قد يمحص العبد الشامخ بالطاعة فيقدر له الذنب، ثم ينقي بالانكسار والتوبة والندم قبله، ويخرج ما فيه من أمراض، ويذيقه لحظة ألم الحجاب بينه وبين الله، ليعرف حلاوة الطاعة وذل المعصية وظلامها.

وتكون العبادة عبادة وليست عادة فيصبح العبد قائلاً: «أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

ويبدأ العبد بإصلاح نفسه ومراقبتها وترك عورات الناس، ويكون شعاره هو شعار الأنبياء على الصراط «اللهم سلم اللهم سلم».

هاجس الموت

لو أن إنساناً في كامل عافيته، لا تراه إلا ضاحكاً مبتهجاً، يغدو ويروح والدنيا بين عينيه تتراقص، رأى في الليل رؤيا، جاءه هاتف فقال له: ما بقي من عمرك في الدنيا إلا شهر واحد، فلا شك أن هذا الإنسان سيكون في صبيحة ذلك الليل مغموماً مهموماً حزيناً، يبحث له عن صديق عزيز ليبوح له بذلك السر الرهيب.

فإذا جاءت الليلة الثانية وجاءه نفس الهاتف يقول له: أعد العدة بعد شهر ستموت، هنا سيتضاعف الهم أضعافاً مضاعفة.

فإذا جاءت الليلة السادسة ورأى نفس الرؤيا فهنا يتأكد الأمر لديه، فلا يقر له قرار، ولا يهنأ بطعام ولا بمنام، ولا بأهل أو مال، بل ينتظر الليلة الرابعة، هل ستأتي الرؤيا أم لا؟؟

وهنا تجده يخاف أن ينام.. لقد كان في الليالي الثلاث ينام، أما في الليلة الرابعة لا يستطيع أن ينام، بل لا يريد أن ينام، فيظل يقظاً مرعوباً، والنوم سلطان.. والذي لا ينام هو الله، فتأتيه سنة النوم آخر الليل فتأخذ روحه وينام فإذا بالهاتف يأتيه للمرة الرابعة، فيتأكد له الأمر بشكل قاطع، فيبدأ يعد العدة، يفر إلى بيوت الله، ويبدأ يختم المصحف، ثم يواظب على صلاة الجماعة، ويبدأ يتصدق وينفق ويبدأ يتسامح مع الآخرين، ويتوب من الكبائر ومن الصغائر أيضاً، ويبدأ يؤدي الديون التي عليه، ويبدأ يتحلل من كل صغير أهانه، ويراجع أوراقه وأعماله كلها.

فإذا مر النص الأول من الشهر، رأيت ملامحه تغيرت، فترى فيه الشحوب والوجوم واصفرار الوجه، وتراه مفكراً ساهياً، فإذ مر الثلثان من الشهر.. هنا

يبدأ يبكي كلما نظر إلى نجه حبيب أو قريب، وتبدأ الدموع تنهمر لأنه يحس أنه سيفارقهم، ثم يزيد في العبادات والطاعات، ولا يدري بأيهما يبدأ؟ أيعتمر أولاً أم يحج ثانياً؟؟ أم أنه يقوم الليل في الصلاة والعبادة، وتبدأ العبادات تزدحم أمامه لا يدري أيهما الأفضل، لأنه يريد أن يبدأ بالأفضل لأنه ما بقي له من العمر إلا القليل.

فإذا جاءت ليلة التاسع والعشرين، تختلط عنده الأمور، وتختلط الأفكار، وتختلط الألوان، وتختلط الهموم، ويصبح لا يعي شيئاً فهو لا يشتهي الماء ولا الطعام، ينتظر ملك الموت، ويكون في مرحلة من المراحل تسمى (الاستسلام).

هذا الشعور ينتاب من رأى رؤيا تكررت، وقد تكون الرؤيا من الشيطان وقد تكون من الرحمن، أليس كل واحد منا تأتيه هذه الرؤيا في الواقع والحياة أكثر مما تأتيه في المنام؟؟؟ أليس الله هو الذي أخبر عن هذه الرؤيا في كتابه الكريم يوم أن قال لكل مخلوق من الإنس والجن.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ (الأنبياء).

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (الأنبياء).

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ (لقمان).

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ (الجمعة).

ملاقيك: أي أينما اتجهت وهي لا تكون إلا وجهاً بوجه، فأينما اتجهت صعوداً أو نزولاً يميناً أو شمالاً، أماماً أو خلفاً.. فالملاقاة بالموت لا محالة.

هذا لكل واحد منا، ولكن لماذا لا نحس ذلك الرجل الذي رأى الرؤيا؟؟ لماذا لا نشعر بشعور من حكمت عليه المحكمة بالإعدام شنقاً حتى الموت؟؟ فننهار كما ينهار المحكوم عليه... السبب أن لنا شيئاً اسمه الأمل، وهذا الأمل خطير جداً، يصل عند بعض الناس أن ينسيه هذه الحقيقة الكونية التي تتكرر كل لحظة أمام ناظريه أو يسمع عنها وهي الموت، وقد يتمادى في النسيان حتى يصل الشعو عند أنه لن يموت.

والله يقول عن هذا الصنف:

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ (الهمزة).

فهذا الذي جمع الأموال وعددها صار عنده شعور داخلي أنه خالد مخلد في الأرض والكل سيموت إلّا هو.

أما الرسول صلى الله عليه وسلم فكان يعيش بشعور ذلك الرجل الذي رأى تلك الرؤيان لأنه رأى ملك الموت ورأى الجنة، ورأى النار وعذابها، لأنه رأى ملائكة العذاب، رأى ملاكة الرحمة، كان يقول عليه السلام: «**ما أنا والدنيا إلا كمسافر استظل بظل شجرة ثم تركها وارتحل**».

ويقول ابن عمر وهو يبني جدار الدار: جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن الأمر أقرب من ذلك يا عبد الله. يقول عبدالله: فإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح.. أوصاني حبيبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**».

ولقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على الخير لأمته في الحياة فقال: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موت**»، وقال صلى الله عليه وسلم:

«**بادروا بالأعمال الصالحة سبعاً: فهل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**بادروا بالأعمال الصالحة فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً**».

فالدنيا كلها لا تساوي جناح بعوضة، والإنسان يبيع آخرته بعرض منها قليل.

... يجب أن نحيا بمشاعر تلك التوجيهات النبوية، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُرى إلا متفكراً متدبراً مهموماً، يقول: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله» فكان استجابة الصحابة رضوان الله عليهم أن غطوا رؤوسهم فصار لهم أزيز وخنين من البكاء.

علينا بين الحين والحين أن نتذكر هادم اللذات، لقوله صلى الله عليه وسلم: «أكثروا من ذكر هادم اللذات»، إن ذكر عند المترفين شؤم ونحس ولا يريدون ذكره، بل لا يريدون اللافتة اتي تقوم: إلى المقبرة!! لأنهم يريدون الخلود في الأرض.

أما نحن فأمرنا بذكر هادم اللذات للاستعداد للحظة الحازمة التي ينتقل الإنسان فيها إلى لقاء مولاه، إما إلى جنة وإما إلى نار.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (العنكبوت).

نسأل الله أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائه.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (الشعراء).

العمل لما بعد الموت

عجباً لأمر الإنسان في هذه الدنيا يسابق الريح من أجل الحصول على كسب مادي زائل، دون مبالاة لما يعانيه من نصب وتعب، يفعل ذلك تأميناً لحياته في هذه الدار الفانية مع علمه علم اليقين أن أجل فيه محدود مهما طال العمر، ومهما أوتي فيها من قوة وجاه وسلطان، يصنع ذلك في الأولى ويغفل تماماً عن تقديم ما ينفعه في الآخرة.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (الشعراء).

فحبذا أن يحرص المؤمنون على إرضاء رب العالمين حرصهم على كسبهم المادي. وإذا نظرنا نظرة إمعان وتفحص رأينا أن سبب حرص الإنسان على عمل ما ينفعه في الدنيا وتفريطه فيما ينفعه في آخرته يكمن في ضعف إيمانه بذلك اليوم الذي هو أقرب إليه من حبل الوريد، فلو أن المسلمين في هذا الزمان أيقنوا بما وراء الموت من بعث وحساب وجنة ونار وثواب وعقاب لتسابقوا كما تسابق الأولون لتقديم الزاد الذي يكفيهم شر هذا اليوم، وما فيه من ويلات وعقبات، لألأن من طبع الإنسان إذا أحسن أن خطراً مقبلاً عليه تراه يبذل قصارى جهده ليقي نفسه شر هذا الخطر، فلِمَ هذه الغفلة والتكالب على الماديات لنيل أرقى المنازل في هذه الدار التي ليس بعدها من دار سوى الجنة أو النار، فلو أن كل مسلم راجع كتاب ربه وتدبر آياته لرجع لصوابه، وعاد إلى رشده، ففيه الشفاء من كل داء، وفيه البيان الشافي لمن أراد الشفاء، فالمتأمل في سورة مثلاً يجد أنها تحكي بعض ما يحدث عند قيام الساعة من تحريك الأرض وتفتيت الجبال، يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ (الواقعة).

كما تبين أن الناس في هذا اليوم يحشرون أصنافاً ثلاثة، أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، والسابقون السابقون، ولكل جزاءه الذي يتناسب مع فعله.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ (الواقعة).

وهكذا تأتي الآيات لتبين هذه الأصناف وهم:

١ – السابقون المقربون وهم فرقة من الناس من الأولين السابقين، والآخرين، وهم في أي مكان أو زمان يدافع الله عنهم مهما طعن فيهم الطاعنون وسخر منهم الساخرون.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ (المؤمنون).

فهؤلاء لا يبالون بما يقال عنهم أو يُفعل بهم، وإنما كل همهم إرضاء الخالق سبحانه وتعالى، مغتنمين طاعة ربهم عملاً بقول رسوله صلى الله عليه وسلم: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك. وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

إن شبابنا في هذه الأيام قد وعى واستيقظ من غفلته وسعى جاهداً نحو التمسك بقيم دينه والعمل بمقتضياته، لكن هناك من العراقيل التي تقف عائقاً في سبيل صحوتهم الإسلامية، فتجد أن بعض الدعاة يحاصرون ويضيق عليهم الخناق بمختلف الوسائل، يمنعون من البث التليفزيوني أو الكتابة في الصحف أو المجلات وما شاكل ذلك، فهذه مؤامرة عالمية تستهدف الصحوة الإسلامية، والقضاء عليها بطريق مباشر أو غير مباشر، لكن أنى لهم ذلك، فإن الشباب يعي دوره ويعمل ولا يكسل، موقناً أنه لا قيام للحق ولا إزهاق للباطل إلا بالسعي

والعمل، لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ (الإسراء).

وأما الصنف الثاني من الناس يوم القيامة فهم أصحاب اليمين الذين يأخذون صحفهم بأيمانهم وهؤلاء أدن مرتبة من المقربين، وهؤلاء أيضاً أعد الله لهم نعيماً سرمدياً، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ (الواقعة).

وأما الصنف الثالث من الناس وهم أصحاب الشمال الذين يأخذون صحائف أعمالهم من قِبَل الشمال، هؤلاء ما أقبحهم وما أسوأ عقابهم يوم القيامة، يقول الله فيهم: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ (الواقعة).

فلينظر كل منا إلى هذه الآيات وليبحث في أعماله ليرى منزلته في الآخرة، أهو من السابقين، أم من أصحاب اليمين، أم من المكذبين الضالين.

فإن كان من السابقين أو من أصحاب اليمين، فليحمد الله وليزدد خيراً.

وإن كان من المكذبين الضالين فليكف عن أخطائه وليعد إلى رشده، ولا يكونن من الغافلين.

اللهم إن نسألك يقظة تامة تنينا من مصارع الغفلات وقلباً ذاكراً، ولساناً شاكراً اللهم آمين.

المجتمع الربيعي

حديث شريف كلما قرأته شاهدت تلك النهاية المأساوية التي تهدد الظالمين وهم في ليالي اللهو، وفي رحلاتهم المترفة في منتجعاتهم برفقة الحسناوات، وهم يلبسون الحرير ويشربون الخمر، وتعزف المعازف فوق رؤوسهم، تغنيهم الصبايا بجميع اللغات، نصبوا مخيمهم تحت علم - يعني - جيل - حوله الأعشاب الخضراء، تروح في المساء عليهم الإبل والأغنام فيشربون لبنها، ويأكلون لحمها، وبينما هم في لحظات الأنس والطرب، يدخل عليهم رجل فقير محتاج يريد لقمة أو حاجة فيطردونه، فهم مشغولون عن شعوبهم المنكوبة بالاستمتاع بأموالهم المنهوبة، وهذا واحد من الشعب أزعجهم، فيقولون: ارجع إلينا غداً، إنهم محرجون أمامه، ولكن الله يدمرهم في تلك الليلة، إذ يرفع الجبال ويضعه عليهم وهم سكارى، والذي ينجوا منهم يمسخه قرداً أو خنزيراً إلى يوم القيامة، لأن حياتهم حياة القرود المقلدة، فقدوا كرامتهم وانته الضحك ببكاء طويل فبئست الشهوة، التي هذه نهايتها، ونجا الرجل الذي طردوه!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر والحرير، والخمر، والمعازف، ولينزلنّ أقوام إلى جنب علم تروح عليهم سارحة لهم، فيأتيهم رجل لحاجة فيقولون ارجع إلينا غدا، فينبئهم الله، ويضع القلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**».

عيادة المريض

إن الإنسان مخلق ضعيف، يقول الإمام علي كرم الله وجهه معبراً عن مدى ضعف الإنسان: «**ابن آدم تقلقه بقة، وتنتنه عرقة، وتقتله شرقة**»، وما أشد ضعفه، وما أشد احتياجه إلى من يؤنسه حالة المرض، ولذلك حث الإسلام على عيادة المريض ورغب في ذلك.

ويقول صلى الله عليه وسلم: «**عائد المريض في مخرفة الجنة حتى ينصرف**»، ومخرفة الجنة: رياضها وأشجارها وظلالها وأنهارها.

يقول صلوات الله وسلامه عليه أيضاً: «**من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً**»، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**من عاد مريضاً مصبحاً استغفر له سبعون ألف ملك حتى يمسي، ومن عاد مريضاً ممسياً استغفر له سبعون ألف ملك حتى يصبح**»، ويقول صلى الله عليه وسلم: «**عبدي مرضت ولم تعدني، فيقول: كيف أعودك وأنت الله رب العالمين، قال: لقد علمت أن عبدي فلاناً مرض ولو عدته لوجدتني عنده**».

ويقول ابن القيم رحمه الله: «وهذه العندية والمعية خاصة بالمؤمن، وهي تليق بجلال الله، نؤمن بمعناها ونجهل كيفها، وهناك من يرى أن العندية هنا يقصد بها رحمة الله وثوابه ومغفرته وخيره وشره، وعافيته وأجره»، وأيضاً يقول صلى الله عليه وسلم: «**عبدي استطعمتك فلم تطعمني، قال: كيف أطعمك وأنت الله رب العالمين؟ قال: لقد استطعمك عبدي فلان ولو أطعمته لوجدت ذلك عندي**».

لقد دعانا النبي صلى الله عليه وسلم إلى اغتنام أوقات الصحة والعافية وإشغالها بالطاعات، ويقول صلى الله عليه وسلم: «**بادروا بالأعمال الصالحة سبعاً**:

فهل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة، والساعة أدهى وأمر».

ولم يقتصر النبي صلى الله عليه وسلم في زيارة المريض على المسلمين فقط، فقد عاد أثناء المرض غير المسلمين، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعود أثناء المرض له جار يهودي مرض فعاده صلى الله عليه وسلم، وكان اليهود في «النزع الأخير يحتضر»، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «**قل لا إله إلا الله» فقال اليهودي: لا إله إلا الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله الذي استنقذك من النار بي».**

فحق على المسلمين أن يتسابقوا في عيادة المرضى لينعموا بما أعده الله لهم من أجر وثواب، والمسلم إن تعوّد على زيارة المرضى اكتسب محبتهم فيزورونه أثناء مرضه، لأن دوام الحال في هذه الدنيا من المحال، فقد تكون اليوم سليماً وغداً عليلاً، وما أكثر ابتلاء المؤمنين بالمرض، وقد شبّه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن وهو يعاني من آلام المرض بالريحانة: «أي النبتة الطرية»، تميل يميناً وتميل شمالاً، وتعصف بها الرياح وتستقيم من جديد، وهذا تصوير بديع للمرض والبلاء الذي يصيب المؤمن فهو كالريحانة تميل هاهنا، وهاهنا من الآلام الأوجاع.

ويصف النبي الكافر بقوله: «**والكافر كالأرزة لا يدري لما عُقل، ولماذا أطلق**»، أي كشجرة الأرز، قوية راسخة شاهقة، ولكنها إذا هبت عليها العاصفة أو اجتاحتها السيول تكسرها كسراً، فلا تقوم بعد ذلك لها قائمة، فالكافر قد يكون قوياً متيناً لا يمرض إلا قليلاً، ولكنه إذا نزل به المرض كان مرض الهلاك والموت وهو لا يُدرك ولا يفقه لماذا مرض؟ ولماذا عُوفي، ولا يعقل حكمة الله في ذلك.

بادر بزيارة المرضى تكسب حبهم، وتجبر قلوبهم المنكسرة، حتى يجبر الله قلبك المنكسر، فالمريض قد يكون يائساً من شفائه فإذا ذهب صديقه لزيارته اندفع الأمل بالشفاء إلى قلبه، يقول ابن القيم رحمه الله: اعلم يا ابن آدم أن الجزاء من جنس العمل، فإن الله يبتلي أحد المسلمين بالمرض ليبتليك به، أتعوده أم تهجره، فإنك إن عدته فإنك أحوج ما تكون إلى هذه العبادة، لأنك لا بد أن تمرض في يوما ما».

لقد وجهنا الإسلام إلى زيارة المرضى وغربنا في ذلك، ونبهنا إلى ضرورة طلب العافية من الله تعالى، يقول صلى الله عليه وسلم: «أحب سؤال إلى الله أن يُسأل العافية»، وكان من وصاياه لأمته: «اسألوا الله المعافاة واليقين»، فتعين على كل مسلم أن يمتثل لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، ويسأل ربه العافية، لأن العافية لا تقدر بثمن. فهذا الخليفة المأمون وكان عصره يسمى العصر الذهبي، لأنه وريث هارون الرشيد، أعظم خلفاء بني العباس، يقول: أصابتني حمى دق منها عظمي، واسود جلدي، وملني أهلي، وحاشيتي، وأشرفت على الموت، فقلت: احملوني وضعوني على سرير وسط الحديقة ودعوني أموت هناك، وبعد منتصف الليل وأنا أرعى النجوم... وما أطول ليل المريض!! وإذا بي أرى عقرباً سوداء تسير في وسط الحديقة، ولساني لا يستطيع النطق لضعفه، وجسدي لا يستطيع الحراك لمرضه، فاستسلمت لله، فصعدت العقرب على السرير ومشت على رجلي وفخذي، وجاءت إلى بطني فلدغتني لدغة أُغمي عليّ منها... وما أفقت إلا وقت الضحى، وقد نزف جسمي عرقاً وشفيت، وكأنني لم أمرض أبداً، وكان يقول في مرضه: كنت أتمنى العافية ولو بملكي، فهي لا تقدر بثمن.

نسأل الله العافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة.

مراقبة الله عز وجل

لقد رسم الله لعباده الأساليب التي تهذب نفوسهم، وتسمو بها إلى أعلى مراتب الكمال في الدنيا، ثم إلى الفردوس الأعلى في الآخرة، ومن هذه الأساليب تربية النفس المؤمنة على مراقبة الله عز وجل، وأعني بمراقبة الله تعالى: إحساس المؤمن في داخلة بأن الله تعالى رقيبه عليه في سره وجهره، في ليله وفي نهاره، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ (غافر).

فالمؤمن إذا تربى على هذا الإحساس لا يصدر منه إلا خيراً، فلا تراه إلا مخلصاً في عمله، صادقاً في إيمانه، صادقاً في اعتقاده، خاضعاً لشرع ربه، فتراه دائماً حيث أمر الله، وتفتقده حيث نهى الله، ومن هنا تصلح الدنيا ومن عليها، لأن صلاح الفرد صلاح للمجموع.

والدليل على أن المراقبة خير وسيلة لصلاح هذا الوجود: أن الشركات والمؤسسات ومحلات المبيعات والجمعيات ونحوها، إذا وضعوا فيها جهاز التلفزيون للمراقبة تقل فيها الخسارات والسرقات، وإن كانت هناك سرقات أو خسارات بعد ذلك، هي ليست من المشترين، وإنما من الجهاز الإداري والوظيفي نفسه، ومرجع قلة السرقات في الشركات التي وضعت فيها أجهزة للمراقبة أن المشتري إذا علم أن هناك عين تراقبه وهو يمسك البضاعة ليخفيها فإنه لا يفعل ذلك أبداً، وهذا ما فُطر عليه البشر جميعاً، فالإنسان يخاف العقوبة ويحسب لها الحساب، فإذا اطمأن على عدم وقوع العقوبة أساء الأدب وانخرط في سلك المعاصي دون مبالاة، فاللص إذا شعر بضعف الرقيب تراه يسرق بالنهار، وعلى مرأى من الناس، لأنه لا يعبأ بالقانون أو العقاب، أما إذا اشتد القانون في العقوبة من سجن وتقريع، فإن المجرم يمتنع عن إجرامه.

هذا في مجال مراقبة البشر للبشر، فما بالك أيها الإنسان بمراقب الله تعالى الدائمة فهو سبحانه وتعالى لا ينام ولا تنقطع مراقبته لنا، ولا يغفل عنا وهو علام الغيوب، يعلم السر وأخفى، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء).

هذه هي النتيجة التي يريد أن يصل إليها القرآن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء).

ويقول في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ (ق).

ويوم أن يشعر المسلم بحق أن الله بعلمه الواسع أقرب إليه من حبل الوريد يحسب ألف حساب للخطيئة قبل أن يقع فيها فتقل المخالفات ويسود الأمن والأمان، إن حياة الصحابة رضوان الله عليهم تتسم بشدة المراقبة لله، فكانت حياتهم عامرة بالتقوى وأعمالهم متوجة بالنجاح، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يدور بعد صلاة الفجر في المدينة فسمع حواراً بين أم وابنتها، فالأم تقول لابنتها: قومي وامزجي اللبن بالماء، «يعني أخلطيه ماء حتى تكثر كميته»، فقالت: يا أماه! إن أمير المؤمنين عمر نهانا عن ذلك، فالبنت تختبر في أمها طاعة الأمير والقائد، فقالت الأم: إن أمير المؤمنين لا يرانا، فالمراقبة عند الأم نحو السلطة التنفيذية معدومة ما دام الأمير ليس موجوداً، فقالت البنت لأمها: يا أماه، إن الله علينا رقيب، وإن كان الأمير لا يرانا، فإن الله يرانا، فلما قالت البنت لأمها هذه الكلمات امتنعت الأم عن الغش، وكافأ عمر البنت بأن زوجها من ابنه عاصم، فحطم أمير المؤمنين حواجز الحسب والنسب والغنى

والجاه والثراء وكل شيء، وزوّج ابنه وهو الذي يحكم مشارق الأرض ومغاربها من ابنة هذه المرأة التي تبيع اللبن، لأن البنت تراقب الله وتخشاه.

فليصرف كل منا نظره عن مراقبة الإنسان لأخيه الإنسان، ولنحيا جميعاً ونحن نستشعر في قرارة أنفسنا أن الله علينا رقيب، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ (ق). وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ (يونس).

فهو سبحانه وتعالى أرحم الراحمين.

وفي مجال المراقبة أيضاً. يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يمشي ذات مرة، وإذا بامرأة عجوز تقول له: قف، فوقف مستجيباً لها ولم يمنعه خلافته للمسلمين أن يسمع كلامها، فقالت العجوز: كأني أراك صبياً تتجول في طرقات مكة والناس تناديك يا عمير، ثم كبرت فدعاك الناس وأنت ترعى الإبل يا عمر بن الخطاب، وكنت أضل من حمار أبيك، ثم هداك الله فأصبحت الفاروق، ثم أصبح ينادي الناس يا أمير المؤمنين، فالله الله يا أمير المؤمنين في أمة محمد يا عمر، فقال أحد المرافقين لعمر: ألا تزجر هذه المرأة، لقد أغلظت في حقك، قال عمر: إنها خولة بنت ثعلبة، التي نزل فيها قول الحق تبارك وتعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ (المجادلة).

وخلاصة القول: إن الله تعالى علينا رقيب، ومن هذا المنطلق يتعين علينا أن نستشعر هذه المراقبة في قلوبنا بصرف النظر عن مراقبة الإنسان لأخيه الإنسان، وبذلك يسود الأمن والأمان وتصفو النفوس وتطهر القلوب بفضل مراقبة الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». (رواه مسلم).

الاستغفار

ما رأيت مثل الاستغفار يرفع الشرور ويكثر الأجور عند الله رب العالمين، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الشريف: «**نعم العبد إذا جاء يوم القيامة وقد ملئت صفحته بالاستغفار**» ويقول صلى الله عليه وسلم: «إنه ليغان على قلبي وإني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة»، وفي رواية: «**سبعين مرة**».

والاستغفار كان هدية نوح عليه السلام لقومه، الذين يعانون من أزمات اقتصادية واجتماعية، قال الله في كتابه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ (نوح).

والمستغفر لربه يوقر الله، لأن الاستغفار من معانيه: يا إلهي وخالقي، أنا عبدك المذنب الخطاء، وأنت الغفار الغفور فاغفر لي.

والمغفرة مأخوذة من المغفر: وهو الغطاء الذي يغطي به الفارس رأسه وجسمه حتى لا تصيبه ضربة فتقتله، فكذلك العبد إذا لم يغطيه الله بستره وعفوه، فإن الذنب يأتيه ويضربه ضربة لا يقوم منها في الدنيا والآخرة، فكأن الغفار يغفر ذنوبك ويقيك منها ويسترك منها، وسيد الاستغفار: «**اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، وأبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**».

جاء أبو بكر الصديق إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أوصني بدعاء أدعو به فقال: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً كبيراً وأنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، مغفرة من عندك إنك أنت الغفور الرحيم**».

يقول ابن القيم رحمه الله تعليقاً على قوله: «رحمة من عندك»، فيقول: إن الله كتب كتاباً عنده على العرش، وأول ما كتب عليه: إن رحمتي سبقت غضبي، فكان قوله صلى الله عليه وسلم: «من عندك» يذكر أبا بكر أن الإنسان مهما أخطأ ومهما أذنب فإن رحمة الله تسبق انتقامه تسبق أخذه، فهو يمدح الله سبحانه فيقول: «اغفر لي مغفرة من عندك».

جاء رجل إلى ابن تيمية شيخ الإسلام فقال له: أيهما أنفع إليّ؟ التسبيح أم الاستغفار؟ فقال له الشيخ: «ما تقول في الثوب الوسخ ما ينفعه؟ فقال: ينفعه التنظيف، فقال له: فكذلك الاستغفار ينظف الإنسان».

وحرصاً من الرسول صلى الله عليه وسلم على نظافة قلبه من الخطايا كان يقول: «**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، ونقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، واغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد**».

وكذلك فإن الاستغفار يدفع العذاب عن الناس يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (الأنفال).

ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ (الشورى).

فما يصيب الإنسان في بدنه وولده وأهله وماله فهو ابتلاء واختبار من الله وتخفيف له من ذنوبه، وتكفير له عنها، لذا كان من السنة أن تقول للمريض: «طهور» أي: أنت أذنبت فطهرك الله من الذنوب بهذا المرض.

ولقد كانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عندما يصيبها الصداع كل

شهر – وبعض النساء قد يلازمها الصداع وتحس بالمغص أثناء العادة الشهرية – فكانت أسماء تمسك رأسها وتقول: «هذا بذنبي ويعفو عن كثير».

يقول الشاعر:

يا نفس توبي قبل ألا تستطيعي أن تتوبي

واستغفري لذنوبك الرحمن غفار الذنوب

إن المنايا كالرياح عليك دائمة الهبوب

والموت شرع واحد والناس مختلف الدروب

فلا معصوم إلا الأنبياء، وما دام هناك ذنوب فأكثروا من الاستغفار، والمعصية توجد في النفس الضيق والوحشة، وقد تكون المعصية معلومة معروفة لصاحبها، وقد تكون خفية كالرياء والكبر والحسد لهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أستغفرك مما علمت ومما لم أعلم، وأستغفرك مما عملت ومما لم أعمل».

يقول الحسن البصري رحمه الله: «إن هؤلاء الملوك مهما طقطقت بهم البراهين، وهملجت بهم البغال، فإن ذل المعصية على وجوههم وفي قلوبهم، ويأبى الله إلا أن يذل العصاة».

لهذا تجد أن العاصي ذليل مسود الوجه، والمطيع لربه مشرق الوجه، مضيء الطلعة، لأن في الطاعة عزة النفس، وكرامة المرء، وإشراقة الروح.

فاستغفروا الله وأكثروا من ذلك مما تعلمون ومما لا تعلمون إن الله غفار الذنوب.

حب الخير

إن حب الخير من شيم الصالحين، تأمل في هذه القصة الصغيرة لتدرك صدق ما أقول، فقد اختلف أعرابي مع ابن عباس رضوان الله عليهما، فشتم الأعرابي ابن عباس، فقال له ابن عباس: أتشتمني وفيَّ ثلاث خصال:

الأولى: فإني ليبلغني خبر المطر ينزل على الأرض البعيدة فأفرح لها، لكي تسمن الأنعام وتشرب الأنام، وليس لي عندهم ناقة واحدة.

وأما الثانية: إنني لأعلم من كتاب الله كل آية متى نزلت، أفي ليل أم نهار؟، أم سهل أم جبل؟ وإني لأتمنى أن يعلم الناس منها ما أعلم.

وأما الثالثة: فإنه يبلغني خبر الحاكم العادل في رعيته، فأحبه لعدله وليس لي عنده قضية.

ثلاث خصال فيه رضي الله تعالى عنه يفتخر بها، ولم يفتخر بحسبه أو نسبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما خصاله في حب الخير للناس، وهكذا تكون القلوب الكبيرة، فلا عجب أن يتخذه عمر بن الخطاب رضي الله عنه مستشاراً له، وهو بحر العلم وحبر الأمة، والمستشار الأول المقدم على كل الصحابة في التفسير، لأنه يعلم ما لا يعلمون.

حدث ذات مرة أن غضب شيوخ الصحابة وقالوا لأمير المؤمنين: تقدم علينا هذا الغلام يا أمير المؤمنين، فسالهم قائلاً: ما تقولون في سورة النصر ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ (النصر)؟؟ قالوا: نعلم منها أن الله يأمر نبيه ويبشره بأنه سيفتح عليه ويأمره بالاستغفار والتسبيح، قال: وما تعرف منها يا ابن عباس؟؟ قال: إن الله ينعى إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم، قال: صدقت

يا ابن عباس، وبذلك علا ذكره وعظم قدره وذاع صيته وزاد قربه من الناس ومن الله وذلك بعلمه وحبه الخير للناس.

فليكن لنا في شخصية ابن عباس في علمه وحبه للآخرين الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة، فبمثل هؤلاء الرجال ابن عباس وعمر رضي الله عنهم وغيرهم تسعد الدنيا وتعمر الآخرة وهم كما وصفهم الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ (النور).

وكل التعاسة والشقاء دائماً تأتي من الاقتداء والتأسي بأصحاب الوجوه المتقلبة الذين يعطون لوجوههم بكل اتجاه وجهاً ولوناً وذوقاً من المنافقين.

ما أتعس الحياة مع المبدلين لعقيدتهم بعقائد شتى، المبدلين لأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم الحميدة بعادات وتقاليد دخيلة... بهؤلاء تشقى الدنيا، وبأولئك الصالحين تسعد الدنيا وتعمر الآخرة قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ (الفتح: ٢٩).

وفي أمثال هؤلاء قال الله تعالى كذلك: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ (الحج).

أسأل الله أن يجعلنا من المؤمنين الصادقين الذين يغمر قلوبهم الحب والإخاء إنه على ما يشاء قدير.

من عطاء الله ورحمته

حكى لي رجل ذهب إلى الحج في الزمن السابق أيام أن كان المسلمون يسيرون في الدهناء وسط الطرق الوعرة، يخرجون بالسيارات ولا يصلون إلى مكة إلا بعد أسبوع.

يقول: كنت راكباً في السيارة بالخلف، وإذا مرت السيارة في رمال الصحراء الناعمة، وثقل سيرها في الرمل، وجذبتها الرمال، وكادت أن تقف، وهي تحثو علينا من رملها الناعم الأحمر بواسطة العجلات، فتمتلئ أنوفنا وعيوننا وآذاننا، ويغطينا طبقة من الغبار، فكنت أنزل من السيارة ثم أظل أدفعها من الخلف حتى أساعدها للنهوض والتخلص من الرمل، فإذا عادت إلى سيرها الطبيعي قفزت مرة ثانية، ودخلت أنا من الخلف، وكنت الوحيد فيها من الخلف مع التموين.

وذات مرة إذ مرّت السيارة في وادٍ واسع من الرمال الناعمة، هضاب بعد هضاب، وأرض بكر رسمت عليها رياح الشمال خطوطها، ولا ترى على قممها إلى عشيبات متناثرة متباعدة تتصارع مع الظمأ، فإذا جاءها الليل ارتشفت من نداه قطرات تبتلع بها طول النهار المتوهج، وقد حولت أوراقها إلى أشواك، وليس لها ظل لدقة أغصانها.

يقول: تثاقلت السيارة في سيرها، فألقيت بنفسي ثم أخذت أدفعها، والسيارة تتباطأ ويثور الغبار.. وأدفعها ويثور الغبار، ثم أسرعت السيارة وعلقت نعلي في التراب، فتأخرت أبحث مكان خطواتي لأخرج نعلي، لأنني لا أستطيع السير على الصحراء دونها لحرارة الأرض.

وأسرعت السيارة، وظن السائق أنني ركبت، والغبار يثور خلفه فلا يراني في المرآة.. وواصلت السيارة في سرعتها، وواصلت أنا في بحثي عن النعال، فلما وجدتها كانت السيارة قد بعدت، وهبطت في واد جديد من الرمال.

فأصبحت في حيرة، أأبحث عن نعلي أم أجري خلفها بأقصى سرعتي، فتركت نعلي وجريت بما أعطاني الله من سرعة، ولكن السيارة نهضت من عثرتها وانطلقت بين الوديان بعيداً بعيداً، ولم أعد أرى منها إل نقطة حمراء ما لبثت أن تلاشت عبر الصحراء، ولم يذكروني ولم يلتفوا إليَّ، فعدت أبحث عن النعال من جديد.

يقول: فوجدتها ولبستها ثم واصلت السير، والقلب مني يخفق، والنفس يتلجلج، وأخذت أسير على أثر السيارة لعلهم يذكروننني عند وقوفهم لطعام الغداء بعد العصر، فهم إنما يستريحون عند انكسار الشمس ويصلون الظهر مع العصر جمع تأخير.. فلا بد أن يفتقدوني ويعودون للبحث عني.

فلما جاء وقت الظهر وأصبح الظل تحت الحذاء، إذ لا ظل إلا تحت القدم، والشمس لها وهج أحس أنه يحفر أخاديد نيرانية داخل رأسي وجلدي، وقد ألقيت على وجهي غطاء رأسي، إذ بدأت الرياح تهب والرمال تلتوي كالثعابين من تحتي، ولو توقفت قليلاً أو جثوت على الأرض لغطتني الرمال سريعاً، فتلك الأراضي ذات كثبان متحركة، ومعالمها متغيرة، لا تستقر على حال.

وأثناء سيري كانت تغوص قدماي إلى الساقين مرة، وأمر على كتل من الصوان مرّة.

يقول: فلما بلغت الشمس كبد السماء، وبدأت الرمال تتخلل بين فتحات النعل أحسست أنني أخوض في نار، لا أدري ماذا كان شعوري ساعتها إلا أنني أرفع رجلاً وأخفض الأخرى، وأجثو مرة، وأحبوا على يدي ورجلي مرة، وأضع غطاء رأسي تحت قدمي، ثم أعود فأضعه على رأسي، وأعود فأضعه تحت قدمي وهكذا، حتى جف ريقي، واحمرت عيناي، ولم أعد أرى جيداً، وصار

لساني في سقف حلقي، وكأنه قطعة من الجلد المتشقق، أو الخشب اليابس، وأصبحت شفتاي ممزقتين أتألم منهم، إذا حركتهما نزفتا دماً، وأخذت أسير وأنا أنظر إلى أصابع يدي وقد تحولت إلى سوداء مخيفة، وبدأ شيء كالحمى يجتاح نفسي، وقد كنت في الساعات الأولى أتعرق، أما الآن فلا عرق، وإنما يفوح من جسمي لسان نار لافح.

وظللت في سيري، ولكنه سير الذي تملكه الإعياء والتعب، ولا يزال بعض معالم السيارة على الأرض، إذ إن الرياح قد غطت معظمها، فكنت أسير مدة طويلة فلا أكاد أقع على أثرها إلا أن الله وفقني إذ ظللت أسير متحسساً آثارها.

وكلما اكتشفت أثراً لها من صعود أو هبوط كأنني عثرت على ماء، إذ لا يزال الأمل يحدو بي، يقول: فلما بلغ الظمأ مني مبلغه وأخذت أسير وأترنح والدنيا تدور أمامي، وقد مالت الشمس، ولمحت من بعيد أشياء وكأنها أشجار عالية ضخمة، ثم أراها بعد ذلك ترتفع في السماء، ثم أراها بعد ذلك كأنها على شكل شلالات وبحار تسبح، فعلمت أنه السراب الخادع، وتذكرت قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ (النور).

يقول: ظل السراب أمامي وأنا لا أتبعه بل أتبع آثار السيارة، وبلغ الحال بي أنني أخذت أسير وألتفت لعلي أجد عشبة تحتها أدنى ظل، فأضع شفتي تحت ظلها أستروح هواءها البارد فلم أجد، وأحسست بحريق في كبدي وأخذت أزحف على يدي ورجليّ، والرمال تملأ فمي، ولكنني لم أيأس من روح الله ورحمته.

وبينما أنا على هذا الحال، إذ ألهمني الله كلمة: «ولنبلونكم... ولنبلونكم» ثم

وقفت وأخذت أستجمع فكري فإذا هي آية في كتاب الله تذكرتها: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (البقرة).

فما أن تذكرتها بقلبي ومرت بخاطري واستوعبها عقلي إلا وأحسست أن فرج الله مني قريب، وكأنني بين أهلي وولدي، وأن رحمة الله قريب من المحسنين، وواصلت زحفي فإذا بي أرى من بعيد نقطة خضراء.. فقلت: ويحي!! أهي عشبة!! يجب أن أسرع إليها وأضع رأسي تحتها وأموت عندها.

يقول: فلما اقتربت وحدقت بعيني الممتلئتين بالرمل الصحراوي، أذهلتني المفاجأة، وتعجبت من إسراع الله إجابة دعائي، فإذا هي حبّة من «بطيخ» قد سقطت من السيارة وهم لا يعلمون.

يقول: فأخذت أزحف وأترنح وأجر نفسي حتى ألقيت نفسي عليها وأخذت أنفاسي، ثم كسرتها ووضعت وجهي عليها كي أحس ببردها، ولم أطق أكلها لشدة بردها، وكأنها الثلج المذاب، وبدأت أصرخ من شدة الألم، ولكن نزلت بعض القطرات في فمي، وأحسست بها كنزول الماء على الحديد المحمي، ثم أخذ لساني يلين قليلاً، وتلين شفتاي، ويذهب الألم، وأعود أمرغ وجهي فيها، ويذهب الألم شيئاً فشيئاً.

يقول: حتى أخذت منها قضمة صغيرة أخذت تحفر لها طريقاً في فمي حتى استقرت في المعدة فبرد اللهيب، فأخذت أغرف مما فيها وأشرب حتى ارتويت، فقد رزقني الله الماء والغذاء والحمد لله رب العالمين.

ثم أخذت ما تبقى من قشرها ووضعته على رأسي، ثم وضعت الغطاء

عليه، ثم وفت وقد ارتويت وذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر، ثم أخذت نصفها الباقي وهو أغلى عندي من نفسي ومالي وأهلي وولدي ودنياي، وتذكرت ساعتها حب الله: أن يكون حبي له أكثر من الماء البارد على الظمأ.

فقلت لا بد أن يكون حبي لله أكثر مما لهذا النصف في هذا الجو العصيب من وقيمة، وهذا ما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «**خير الدعاء دعاء داود: اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إليّ من نفسي وأهلي ومالي ومن الماء البارد على الظمأ**».

يقول: وواصلت المسير بخطى ثابتة أحمل بكلتا يدي نصفها، والنصف الباقي على رأسي، وقد مالت الشمس إلى الاصفرار وانكسرت، واقترب الغروب بشفقه الأحمر، وإذا بهم عائدون يبحثون عني في نفس الطريق، فوقفت أنظر إليهم وأنتظرهم فإنهم آتون، فلما وصلوا إليّ قالوا: أحيّ أنت؟؟ قلت: نعم، قالوا: وكيف؟؟!، قلت: إن الحي الذي لا يموت قد رزقني هذه البطيخة يوم أن أوشكت أن أموت، والله لا يضيع حياة عبده.

فحملوني حتى وصلنا إلى المعسكر واسترحنا تلك الليلة وتابعنا سيرنا بحمد الله ورحمته... فيا لها من نعمة.

يا لها من نعمة عظيمة لا تقدر بثمن، يا لها من نعمة لا تقدر بثمن، يوم أن يحس العبد وهو في سرائه أو ضرائه يحي بقربه من الله رب العالمين ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ (الطلاق: ٢).

تذكر أخي المؤمن عند صومك وأنت تأخذ كأس الماء البارد وقت إفطارك، أن يكون حب الله إلى قلبك أحب من هذا الماء البارد الذي بين يديك.

لقد كان عبدالله بن المبارك رضي الله عنه إذا جاء وقت الإفطار، وحمل الماء البارد وقربه من شفتيه، انهمرت دموعه، فيقول له الناس: لماذا تبكي يا ابن المبارك ساعة الإفطار؟

فيقول: لقد تذكرت قول الله في أهل النار: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ (سبأ).

ألا إنهم يشتهون الماء البارد وهم في لهيب النار، وها هو الماء البارد بين يدي، اللهم إني أشربه لظمأ يوم القيامة فيشربه.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما عندما يشرب ماء زمزم يشربه لظمأ يوم القيامة، ليوم كان مقدره خمسين ألف سنة مما تعدون.

اللهم إنا نعوذ بك من الظمأ الأكبر، ظمأ يوم القيامة، وأفض علينا من أنهار الجنة، آمين.

الفصل الثاني

في الحياة والدين

صفحات مشرقة لرجال الكويت

على ثرى هذه الأرض الطيب بطولات وتضحيات جمة وكثيرة.. طوتها صفحات الأيام والتاريخ.. فقد كانت أمثلة في النخوة والشهامة والشجاعة والمصابرة.. لقد كان رجال الأمس قدوة لرجال اليوم. بما سطروه لنا من تلك المواقف الخالدة، فكانوا بحق مثلاً تقتفي الأجيال آثاره جيلاً بعد جيل.

وحري بنا ن نتمثل ونتمعن بتلك القصص والمواقف التي سطرها الآباء والأجداد الأوائل.

وحري بأن تكون هذه القصص مدرسة تربوية يتعلمها أبناؤنا وبناتنا في المدارس.

إن الروايات والكتابات عن رجالنا لم تأخذ حقها في الربط الإيماني والروحاني الذي كانوا يتمتعون به وينطلقون منه.

لذا، فقد سمعت الروايات الكثيرة من الكثيرين ومنهم أخي الفاضل الأستاذ سيف مرزوق الشملان – متعنا الله به وبارك في عمره – وهو زميل وصديق حميم لنا.. وسمعنا الكثير منه – عن مواقف رجال الكويت الصابرين في البحر.. لتكون لنا ولأجيالنا من تلك القصص العبر والدروس في عصرنا الحديث... عصر اللين والعيش الرغيد.

يوم الزينة

أيام الله الطيبة على بلدنا كثيرة، لقد أغنانا الله من فقر، وكثرنا من قلة، وأعزنا من ذلة، وأطعمنا من جوع، وآمننا من خوف، وشفانا من مرض، وعلمنا من جهالة، وهدانا من ضلالة، وأوجد فيها الصحوة الإسلامية، فامتلأت المساجد بالشيب والشباب، وانقرض التبرج وساد الحجاب، وامتدت بفضل الله الأيادي البيضاء إلى خنادق المجاهدين وبطون الجائعين، فصارت أيامنا مثل يوم الزينة الذي انتصر فيه موسى على فرعون، وانتصر فيه محمد صلى الله عليه وسلم على أبي جهل.

فنسأل الله أن يحمينا من شر الحروب، وفساد القلوب، وقطع الدروب، وخداع الشعوب.

عبرة وعظة من السيرة

اختار الله محمداً صلى الله عليه وسلم للرسالة فحفظه مما كان عليه عرب الجاهلية، من زيف وضلال، فلم يشرب الخمر، ولم يلهُ، ولم يسجد لصنم قط، بل كان صلى الله عليه وسلم يتعبد على البقية الباقية من ديانة إبراهيم عليه السلام، ولما بلغ سن الأربعين من عمره جاءه الأمين جبريل عليه السلام برسالة ربه، رسالة الإسلام والتوحيد، ونبذ عبادة الأصنام، فبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته سراً، فآمن به قلة قليلة من الرجال والصبيان والنساء، وظلت دعوته سرية إلى أن أمره الله تعالى بالجهر بها في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ (الحجر).

فارتقى النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا وأخذ ينادي بطون قريش بطناً، بطناً، يا بني عبد مناف، يا بني فلان، يا بني، ينادي القبائل والبطون حتى اجتمعوا إليه، فلما اجتمعوا حوله قال لهم: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، صدقتموني؟ قالوا: نعم، قال: «فإني نذير إليكم بين يدي عذاب شديد»، فخيرهم بين اتباعه أو العذاب الشديد في الآخرة، لكن قريشاً فهمت فهماً خاطئاً لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد اعتقدت أن غرضه صلى الله عليه وسلم من رسالته هو التحدي والتفاخر عليهم، فهمت قريش أن هذا الفقير اليتيم الذي كان يرعى الغنم، ويكفله جده، وينفق عليه عمه، أصبح الآن يتفاخر عليهم، وينتقص منهم، ولذلك رفضوا دعوة التوحيد التي جاءهم بها، وانبرى للنبي صلى الله عليه وسلم يرد عليه أقرب الناس إليه وهو عمه أو لهب وزوجه أم جميل ينالان منه كل أذية، ويدفعان إليه بكل بلاء، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم انطلق ينذر عشيرته لا يبالي ولا يتردد.

وكم من المواقف الصعبة تعرض لها الرسول صلى الله عليه وسلم.

فكان يتقصد نوادي قريش ومجتمعاتهم، يدعوهم للإسلام، فلما رأوا إصراره وتصميمه ظنوا أنه إنما يدعو إلى ما دعا إليه طلباً للغنى أو رغبة في الزواج من امرأة حسناء، فأرسلوا إليه عتبة بن ربيعة في وفد قومه إليه فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة (الشرف) في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها: يا أخي، إن كنت تريد بما جئت به من الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً (أثر جن) تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه، فرد النبي عليه قائلاً: افرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني: ثم تلا عليه النبي صلى الله عليه وسلم قول الحق تبارك وتعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤﴾ (فصلت).

فعاد عتبة إلى قريش وقال: إني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، أطيعوني واجعلوها بي، وخلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمت نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، عزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به.

قالوا: لقد سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، وظلت قريش تتعقب الرسول صلى الله عليه وسلم وتؤذيه، فهذا عقبة بن أبي معيط يضع كرش الناقة بعفنها وأوساخها ودمها على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد عند الكعبة، فلم يرفع النبي رأسه وظل ساجداً لربه يسبحه حتى علمت ابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها – وكان عمرها تسع سنوات – فجاءت ورفعت أوساخ الجذور عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أخذت تمسح بيدها الصغيرة عن رقبة أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الفرث، ثم التفتت إلى قريش في ناديهم وهم يتضاحكون وقالت: لعنة الله عليكم وأخذت تسبهم... فقال لها رسول الله صلى الله عليه ولم: لا يا بنية، لا تسبيهم، فلن يبلغوا من أبيك أكثر مما بلغوا منه... فاتركيهم، وقام النبي صلى الله عليه وسلم وذهب إلى بيته واغتسل.

وفي اليوم الثاني يتعلقون بثوبه حتى يجثو بركبه على الأرض ويدافع عنه أبو بكر ويُضرب أبو بكر حتى يغمى عليه، فلما أفاق كان أول سؤال سأله: خبروني عن رسول الله وماذا فعل؟ فلما هدأت الرجل، وخف السير، نهض وذهب إليه في دار الأرقم وأخذ يقبّله ويلثمه حتى سكنت نفسه واطمأنت روحه.

واستمر الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته صابراً محتسباً وقريش تواصل إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا ينقطع عن الدعوة، ففي كل موسم للحج يأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام، وكأن أبو لهب يرمي الرسول صلى الله عليه وسلم بالحجارة أينما سار، وإذا سأله أحدهم لماذا ترجم هذا الرجل كان جوابه: إنه ضال مضل يدعوكم إلى ضلالة، يدعوكم أن تخرجوا عن دين آبائكم ويسب الآلهة.

وقد ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم ذات مرة لمقابلة الوفود، وكان أول وفد قابله وفد عامر بن أبي صعصعة، فقالوا له: لا حاجة لنا بدينك، فركب الناقة صلى الله عليه وسلم، فجاء زعيمهم فنخس الناقة فجمحت به فسقط النبي صلى الله عليه وسلم على الأرض، وكشط جنبه كله، فما تكلم بكلمة واحدة، ولكنه صبر واحتسب.

ودخل على وفد شيبا فقالو له: إلا تدعو يا أخا قريش؟ قال: أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فقالوا له: وإلى أي شيء آخر تدعو إليه يا أخا قريش. فقال: أدعوا إلى قولنه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ (النحل).

فقالوا: إنك تدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولكن الأمر ذي تدعو إليه تكرهه الملوك، وبيننا وبين ملوك الفرس عهد وميثاق، إن شئت نحميك؟ قال: لا، وما أسأتم الرد، فتركهم وتركوه.

وقابل وفد الخزرج فعرض عليهم الإسلام وكانوا ستة نفر، فقالوا: وماذا لنا إذا بايعناك؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: لكم الجنة. فقالوا: امدد يدك نبايعك؟ وانطلقوا.. وفي العام الثاني جاء ثلاثة وسبعون منهم، وبايعوه على السمع والطاعة في أمره ونهيه، فسماهم الأنصار، وجعل منهم اثني عشر نقيباً، ثم بدأ يهاجر أصحابه إليهم، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم المستضعفين من أصحابه بالهجرة إلى المدينة بعد أن أرسل إليهم مصعب بن عمير يدعوهم إلى الإسلام، فما ترك مصعب بيتاً إلا وأدخل فيه الإسلام.

ثم هاجر الرسول إلى المدينة وأقام فيها دعوة الإسلام، ودولة الإيمان، ووحدة العقيدة.

أما قريش فقد أذاقهم الله ألوان الذل والهوان والقتل بأيدي المسلمين في غزوة بدر وغيرها من الغزوات، إلى أن عاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة فاتحاً منتصراً، وصدق قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ (الفتح).

هذا قليل من كثير من صور الإيذاء التي تعرض لها الرسول صلى الله عليه وسلم ذكرته ليتخذ الدعاة منه أسوة حسنة، فيدعون إلى الله صابرين محتسبين، على أن يكون سبيلهم في الدعوة الحكمة والموعظة الحسنة قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝١٢٥﴾ (النحل).

الوهن

حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم من مرض يصيب النفوس من البشر اسمه «الوهن» ومعناه حب الدنيا وكراهية الموت، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أو من قلة يومئذ يا رسول الله؟ قالك لا، بل أنتم كثير، ولكنك غثاء كغثاء السيل، ينزع الله مهابتكم من قلوب أعدائكم، وتصابون بالوهن، قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا، وكراهية الموت».

هذا المرض من الخطورة العظيمة التي توقع الأمة في الذل، ويلطخ شرفها بالوحل، لأنها تترك الجهاد في سبيل الله، وتؤثر الدعة والراحة، وترغب في الدنيا ومتعها فتتساوى مع عدوها في أمراضه ومشاكله، فيغلبها العدو بكثرة عدده وقوة عتاده.

فهذا هو المرض وهذه أخطاره، فكيف يكون علاجه؟

إن علاج هذا المرض يكمن بارتباط المسلم بماله ونفسه بحركة المجاهدين في سبيل الله، إما أن يكون معهم على خط النار، أو بعيداً عنهم يخلفهم في أهلهم وأولادهم، أو يعينهم بجهده العقلي في التخطيط والابتكار والتوجيه، أو يعينهم بما عنده من علم في التربية والعقيدة والشريعة، أو بما عنده من جاه ومكانة فيجمع لهم الأموال ويؤيدهم بأي صورة من التأييد.

الجهاد في سبيل الله أشبه ما يكون بالقلعة أو بالحصن الحصين، والناس أمام هذه القلقة وهذا الحصن نوعان:

نوع آمن مطمئن ساكن وهو الذي يكون داخل هذه القلعة، وداخل هذا الحصن، فهو لا يخشى العدو ولا يرهبه لأنه في حماية دائمة.

ونوع آخر خارج هذه القلعة، فهو مهدد من العدو، ومن اللصوص ومن الوحوش والذئاب.

فالمجاهدون في سبيل الله، والذين يضعون أيديهم في أيدي المجاهدين مثلهم كمثل أولئك الذين تحصنوا بهذا الحصن.

والذين لا يضعون أيديهم في أيدي المجاهدين لا من قريب ولا من بعيد، مثلهم كمثل أولئك البعيدين عن الأمن، القريبين من العدو، يتخطفهم متى شاء وفي كل لحظة، فالله يقرر في كتابه الكريم هذه الحقيقة فيقول: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ (آل عمران).

فالناس في الآية صنفان:

صنف لم يقاتلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولما يقاتلوا مع قائد، ولم يقاتلوا في سبيل الله، ومفهوم المخالفة أنه يأتيهم الوهن ويلبسهم الضعف، ثم بعد ذلك الاستكانة والاستسلام للعدو.

وصنف آخر قاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم أو مع أتباع النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الجهاد مستمر إلى يوم القيامة، فما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا وهؤلاء هم المجاهدون في سبيل الله.

إن كثرة العدد لا تغني شيئاً إذا لم تتسلح بالعقيدة الصافية والإيمان القوي، فهذه أمة العرب مائة مليون، وأمة الإسلام ألف مليون، ولكنهم جميعاً بحكامهم وجيوشهم وأسلحتهم يخافون من دولة صغيرة كونتها عصابات اليهود، ولا يستطيع أحدهم أن يطلق طلقة صادقة في وجه العدو، ويرجع ذلك لتمكن الوهن من قلوبهم، وهو حب الدنيا وكراهية الموت.

وهو الذي أنتج الاستسلام للعدو، وإبرام المعاهدات الذليلة ومواثيق السلام الباطلة، والتي تتم بين الحين والحين بطريق مباشر، أو بطريق غير مباشر، ولكنهم في الجريمة سواء.

فالعرب والمسلمون يعيشون هذه الانهزامية النفسية، لأنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة، واستروحوا المقام فيها، ونبذوا الجهاد وراء ظهورهم.

وقد قدر الله لي أن أجتمع مع بعض المجاهدين فرأيتهم لا يخافون عدواً ولا يرهبون أمراً من أمور الدنيا، يقال بعضهم عدوه في وضح النهار، ففي كل يوم يأخذ فرقته ومدافعه وأسلحته، ويخرج بعد صلاة الفجر يمشي منحدراً بين قمم الجبال، ثم ينصب مدافعه على تلك القمم، وينتظر حتى ترتفع الشمس في السماء، ويحين وقت صلاة الضحى، فيبدأ برمي حممه، وصب قذائفه على مواقع العدو، فسنة الضحى عنده قذائف يرسلها للعدو تستمر حتى صلاة الظهر، ثم يجمع جنوده ويصلي معهم الظهر والعدو يقصفهم وهم يصلون، والقذائف تنزل ذات اليمين وذات الشمال، فلا يرهبهم ذلك أو يوهن من عزيمتهم.

ما الذي جعل هذا القائد المجاهد يعيش في هذه الحالة النفسية العالية فيقاتل عدوه في وضح النهار؟ ويصلي طيلة ثلاث سنوات والقذائف تمر من فوق رأسه فلا تخيفه أو توهنه، أو تجعله يحث بالاستسلام، هل خُلق من مادة غير مادة البشر؟؟؟ لا!! ولكن روحه روح مجاهد، وحياته حياة مجاهد، وهو يعتقد اعتقاد اليقين صدق الآية الكريمة: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ (التوبة).

إن كثيراً من المسلمين اليوم يقرأون هذه الآية ويسمعونها ولكنهم يحسبون ألف حساب للرزق وللقمة العيش، ويخافون على الولد والزوجة والوظيفة والسيارة

والشاليه، ويخافون على البيت وعلى الأسهم، والشركات، ولكن المجاهد في سبيل الله شعاره وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**» (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح).

من أراد أن يعالج هذه النفس الضعيفة الأمارة بالسوء، الميالة دائماً للدنيا وشهواتها والمتعلقة بجواذب الدنيا وفتنتها عليه أن يضع يده في أيدي المجاهدين، يقاتل معهم على خط النار في صف واحد، وهذا أعلى درجات الجهاد، أو يخلفهم في أهلهم وأيتامهم وأراملهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من جهز غازياً فقد غزا ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا، والساعي على الأرملة واليتيم والمسكين كالمجاهد في سبيل الله».

وكان من عادته صلى الله عليه وسلم إذا لم يذهب للجهاد أعطى سلاحه علياً أو أسامة رضي الله عنهما، حتى يحس أن سلاحه يقاتل مع المجاهدين في الميدان، فيحس بهذه الرابطة القلبية الوثيقة التي يرتبط بها مع حركة المجاهدين في ميدان القتال.

فمن أراد أن يذوق حلاوة الإيمان، وأن يتذوق قيمة الحياة في الجنة، فعليه أن يعطش كما يعطش المجاهدون، وأن يتعب كما يتعب المجاهدون، وأن يخاطر بنفسه كما يخاطر المجاهدون، وأن يتخلص من الجواذب الدنيوية والشهوات الفانية، عند ذلك يصدق فيه قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ (العنكبوت).

يهدي الله المجاهد السبيل القويم في الزوجة والولد والمال والعمل والعبادة ويختم له بأحسن الختام، فالصحابي الجليل حرام بن ملحان عندما جاءته الضربة في صدره، وتفجر الدم من صدره، أخذ منه في يده ومسح به وجهه وهو يقول: فزت ورب الكعبة، فهذا هو الفوز كما يراه الصحابة رضي الله عنهم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ولو مات على فراشه»، ولكن لا بد أن يكون طلب الشهادة بصدق واحتساب لله كما في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن الشك والتردد يتداخل في القلب، فلا يجعله يسأل الله الشهادة بصدق.

وليعلم المؤمن أنه لن ينقص من عمره لحظة، ولا من رزقه قطرة، ولا من نسمة الهواء له نسمة، إنما كل شيء بأجل وكتاب، فالسعيد من مات لربه ودينه وعقيدته، فيموت كبيراً ويبعث كبيراً، ويكون مع الأحياء عند الله، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ (البقرة).

فعليكم أن تربطوا قلوبكم بالجهاد في سبيل الله، وأن تربطوا أعمالكم بالجهاد في سبيل الله، واعقدوا النية عقداً صادقاً على الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال حتى تلقوا الله وهو عنكم راض.

الجندي المجهول

ما من أمة من الأمم تريد أن تبني حاضرها المزدهر إلا على ماضيها التليد، وعلى قدر ما ترتكز عليه من مثل وقيم ومبادئ، وبقدر ما تقدم من تضحيات يستمر الحاضر ويستمر المستقبل من رقي إلى رقي.

وأيما أمة تبني حاضرها على تاريخ مبتوت يخلو من القيم والأخلاق والمثل العليا، فإن حاضرها لا يملك مقومات الحياة، وسيأتي عليه يوم يبيد ويموت وينقطع.

أقول هذا من خلال التجربة والواق والتاريخ.

فلا يوجد على وجه الأرض أمة تملك من هذا الرصيد العظيم، الذي فيه مقومات الحياة والحضارة والاستمرار والرقي مثل الأمة الإسلامية، فتاريخها عبادة وقيم مستمدة من رب البشر، وتاريخ الأمم مجرد أقوال وأعمال من وحي البشر.

فالله سبحانه أمر هذه الأمة أن ترتبط بموكب الأنبياء ابتداء من آدم ونوح عليهما السلام، وانتهاء بمحمد صلى الله عليه وعليهم جميعاً وسلم، وهل يستوي من يرتبط بموكب الأنبياء من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ومن يرتبط بحثالة البشر من السفاحين والقتالين الذين يعيثون في الأرض فساداً.

لا تستوي أمة محمد المرتبطة بالأنبياء والتي تطوف حول البيت كما كان يطوف إبراهيم عليه السلام، وتسعى بين الصفا والمروة كما سعت هاجر، والتي تقول ما يقوله حبيبهم صلى الله عليه وسلم: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» (رواه البخاري وأحمد)، «خذوا عني مناسككم» (رواه مسلم).

فهل تستوي أمة هذا طابعها مع أمة اتبعت حثالة الناس من مهرقي الدماء وشاربي الخمور ورافعي الصليب الذين يعيثون في الأرض فساداً... وتخريباً.. وتقتيلاً..

لقد برز في ميادين الحياة رجال من المسلمين بذكرهم تتجدد الحياة، ويمتلئ القلب نوراً وإيماناً والذين يكون موتهم حياة للآخرين، وقوة للآخرين، يقول الله عنهم في كتابه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ (الأحزاب).

فمنهم الذي قضى نحبه وما زال بين أظهرنا، ماثلاً بأعماله وتضحياته وتاريخه التليد، فتتقدم في قيادة الجيوش كما تقدم خالد، ونحرص على الأمانة كما حرص أبو عبيدة أمين هذه الأمة، ونصدق في القول كالصديق، ونعدل في الحكم كالفاروق... وهكذا نرى في تاريخنا رجالاً منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً.

وقد حدد لنا النبي صلى الله عليه وسلم صفات المؤمن الصادق لنا وللأجيال القادمة، ذلك المجاهد الذي لا يلتفت إلى دنيا، ولا إلى شهرة أو راتب أو رتبة أو وسام، وإنما يلتفت إلى الله رب العالمين، يقول عنه صلى الله عليه وسلم: «**طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، يطير على ظهره عند كل هيعة**» (رواه البخاري).

فهل يوجد في أمة مثل هذا المؤمن؟

والجواب: لا... وألف لا...

المجاهد المسلم لا يلتفت لعرض من أعراض الدنيا، أو شهوة أو شهرة، وإنما تجده آخذ بعنان فرسه على أتم استعداد للجهاد، فقدماه قد اغبرت من السعي

في سبيل الله، أشعث رأسه، لأنه ليس بالمترف الناعم الذي يخضع ويذل لأرباب الأزياء والموديلات، يعبدهم من دون الله، ولكنه يطير على ظهر حصانه عند كل جلبة في سبيل الله.

وهذه صورة أخرى للمؤمن المجاهد يذكرها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «**طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه، مغبرة قدماه، أشعث رأسه، إذا كان في الساقة كان في الساقة، وإذا كان في الحراسة كان في الحراسة، إذا شفع لا يشفع، وإذا استأذن لا يؤذن له**» (رواه البخاري وابن ماجه)، ولكنه لا يهتم به المجتمع، ولا يعتني به، ومع ذلك يسمع ويطيع لأنه ليس ابن مال، أو عائلة، أو حسب، أو نسب، أو واسطة، وإنما مجاهد من هؤلاء المجاهدين المغمورين الذين جهلهم الناس والله يعلمهم، ونسيهم الناس والله يذكرهم، لا يختار موقعه بنفسه ولو كان صنديداً قوياً. ولو طلب منه أن يكون في الساقة فهو ينفذ ويكون في الساقة، وإن كان في الحراسة بقي فيها يؤديها على أحسن وجه، وإذا شفع لا يشفَّع، وإذا استأذن لا يُؤذن له، فهو من خيرة عباد الله، له في الجنة طوبى، وهو مكان فيها أو شجرة فيها يسير تحتها الراكب مائة عام لا يقطعها.

وهناك مثل أعلى من هذا وأشد منه، ففي الحديث الحسن المذكور في منهاج القاصدين للمقدسي يذكر حديثاً عجيباً، فيذكر فيه الجندي المجهول، الذي رمزوا له في زماننا هذا بنصب تذكاري في جميع أنحاء العالم الشرقي والغربي، تجدهم يضعون عليه الأكاليل والزهور، ويزورونه في كل مناسبة، بل ويقدمون الزعماء والضيوف له، فيركعون له وينحنون أمامه، ويقدمون له الزهور، ويقدسونه من دون الله رب العالمين.

ولو سألتهم لماذا وضعتم هذا النصب التذكاري؟؟ قالوا: لأنه المواطن الصالح الذي ضحى بدمه من أجل وطنه، ولو أنك سألت هذا الجندي المجهول فقلت

له: ما الهدف الذي قتلت من أجله؟ لقال: النهب، النهب!! والسلب، السلب، والذهب، الذهب، والنفط النفط، ومصادرة حريات الشعوب!! وهكذا...

وهذه الجنود المجهولة التي تنصب لها التماثيل وتنصب لها النصب التذكارية في المعسكر الشرقي أو المعسكر الغربي ما هي إلا الجيوش النتنة التي داست بأقدامها أرض المسلمين ودنستها ونهبت وسلبت خيراتها.

أما الجندي المجهول الذي يذكره الله في الملأ الأعلى فهو ليس من هذا الصنف، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً مؤمناً من هذه النوعية الفريدة، والتي تجمع بين الفقر والجهاد والمبادئ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة، أحسن عبادة ربه وكان غامضاً في الناس، لا يشار إليه بالأصابع فعجلت منيته، وقل تراثه وقلت بواكيه» (ذكره المقدسي في منهاج الصالحين).

هل رأيتم هذه الصفات العجيبة؟؟ إنها والله تنطبق على معظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، (لمؤمن خفيف الحاذ) أي خفيف المسؤولية، والمؤنة، فلا يملك قصوراً ولا مؤسسات ولا أموالاً، فلا أحد يطالبه أو يطالب هو أحداً، أي خفيف الحال، تجده عند أول نداء للجهاد في الساحة، بل في الصف الأول، وذو حظ من صلاة، حظه كله بين ركوع وسجود في الصلاة، فهو متعلق بالصلاة، إذا سمع النداء نسي الدنيا وما فيها، وذهب فتوضأ ثم لجأ إلى بيت من بيوت الله رب العالمين، (أحسن عبادة ربه) أي بلغ القمة في العبادة فهو يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه، (غامض في الناس) فلا تُسلط عليه الأضواء، ولا يسمع عنه الناس، بل مجهول في وسطهم، (لا يشار إليه بالأصابع) فلا يقال هذا فلان بن فلان (فعجلت منيته) في الجهاد في

سبيل الله، يلقي بنفسه في غمرات الموت لا يهاب، (وقل تراثه وقلت بواكيه) لأنه يموت في الغربة، كأمثال حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد مات قرب المدينة المنورة، ليس له باك يبكي عليه من زوجة أو ولد، حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «لكن حمزة لا بواكي له» (رواه أحمد وابن ماجه)، كذلك مات جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه على حدود الروم، ولم يبكه أحد، فهم وأمثالهم عاشوا غرباء وماتوا غرباء في سبيل الله رب العالمين.

هذه صفة عجيبة للجندي المجاهد المسلم: (لا بواكي له)، فتجد جثث الصحابة الفاتحين الذين فتحوا بخارى وطشقند وسمرقند وأفغانستان، دُفنت تحت جبال من الجليد في تلك البلاد التي فتحوها، تظهر للعيان أثناء الحفر في الجليد.

إن هذه الأمة تملك مقومات الحياة لأنها أمة الإسلام، وأنهم يعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم، ويرجون من الله ما لا يرجوه، أولئك الطغاة الجبارين.

ويأتي رجل إلى أبي عبيدة بن الجراح في معركة اليرموك فيقول: أيها الأمير: هل لك عند رسول الله حاجة؟ فيقول: وما ذاك؟ فيقول: إنني مقاتل الآن، وإني سأقتل وسأذهب حيث ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهل لك عنده حاجة؟ فقال أبو عبيدة: أقرئه منا السلام، وقل له: «قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً».

وانطلق المجاهد، فكان أول شهيد في معركة اليرموك.

يقول المؤرخون: لم يعرف أحد اسمه أو حسبه أو نسبه رضي الله عنه، إنما ذلك هو الجندي المجهول الذي يذكره الحديث.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينتظر البشير يأتيه بعد أن فتحوا نهاوند في أقاصي الشرق فيسأله عمر عمن استشهد من الصحابة؟

فيقول: النعمان بن مقرن، وفلان وفلان من القادة، وبعض الجند لا يعرفهم أحد، فبكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجثا بركبتيه على الأرض، وقال: إياك أن تقول: لا يعرفهم أحد، لا يضرهم إن كان لا يعرفهم عمر بن الخطاب، ويعرفهم الله في سابع سمائه.

هذا هو الجندي المجهول الذي بموته تستمر الحياة، وبتاريخه تبني الأمم حضاراتها، وبذكراه تتوالد الأجيال بعد الأجيال، وبتاريخه العزة والنصر والكرامة والإباء.

وأي أمة تنقطع عن ماضيها التليد وعن منهجها وكتاب ربها وسنة نبيها، إنها لأمة مبتورة، وإنها لأمة نشاز تطاردها اللعنات والهزائم في كل مكان، وتنهدم حضارتها وتموت الحياة فيها، وتدفنها الأعاصير تحت أقدام المؤمنين.

بيعة بلا حدود

لقد كان المسلمون الأولون يتمتعون بقوة ما بعدها قوة، إنها قوة الإيمان الصادق وحب الجند لقائدهم وارتباطهم به ارتباط الروح بالجسد، وإن أكبر دليل يدل على هذا الحب والارتباط مبايعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة.

فهذا سعد بن معاذ مندوب الأنصار رضي الله عنه وقد كان في ريعان شبابه لم يبلغ الخامسة والثلاثين من العمر يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا رسول الله إنا آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وآتيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامضي يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، وفي هذا الموقف ما الذي تذكره سعد؟ ولماذا يشير إلى البحر؟ والبحر الأحمر بالذات؟ إنه في هذه اللحظات يتذكر موسى عليه السلام وبني إسرائيل، الذين يطاردهم فرعون من ورائهم والبحر من أمامهم، وهم واقفون على الساحل يرتجفون لأنهم لا يثقون بنصر الله لموسى، وماذا يقولون: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ (الشعراء).

وثبت موسى، فأنجاهم الله بثباته عليه السلام.

أما أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فليسوا كأصحاب موسى عليه السلام، إنهم وهم الحفاة العراة العالة الجياع ثبتوا بجانب النبي الأكرم صلوات الله وسلامه عليه ثبات الحق فيقول قائد الأنصار سعد بن معاذ: «... والله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، وما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، وإنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء، امض يا رسول الله،

ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله، فلما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه وهم بهذا الإيمان وبهذا الثبات بشرهم بالنصر قائلاً: «**سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم ويشير إليها، هنا يموت أبو جهل، وهنا يصرع أمية، وهنا يطرح عتبة وشيبة وعقبة من زعماء قريش**... إلخ»، يقول عمر رضي الله عنه: فما غادر كافر عن الموقع الذي حدده له رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإذا كان جند الإسلام في غاية الحب والتأييد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه يترقب جنده ويتعهدهم بروح الأب الرحيم الحازم المتواضع، فلقد حدث ذات مرة وبينما صلوات الله عليه وسلامه يراقب انضباط جنوده في الصفوف فإذا بأحد الجنود خارج من موقعه فيعيده بعصا الانضباط ليقف في مكانه، فيقول: يا رسول الله لقد آلمتني، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: خذ العصا واقتص لنفسك، فيقول الجندي: يا رسول الله اكشف عن بطنك فإن بطني مكشوفة يوم أن ضربتني، فيكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن بطنه أمام الجنود ولم يتجبر ولم يتكبر، فألقى الصحابي المجاهد «سواد بن غزية» عصا الانضباط من يده وأخذ يمرغ وجهه على بطن الرسول صلى الله عليه وسلم يتلمسه ويشمه بحرارة وحب فيقول له الرسول صلى الله عليم وسلم/ لم فعلت ذلك؟ فيقول الجندي: يا رسول الله إنني في أرض قتل وقتال، وأحببت أن يكون آخر عهد لي بالدنيا أن يمس جسدي جسك.

فأي حب هذا؟ وأي إيمان هذا؟

إن الالتحام بين القيادة والقاعدة وبين الحكومة والشعب أمر ضروري

في حالة السلم بصفة عامة، وفي حالة الحرب والقتال بصفة خاصة، فهل هناك من جيش واحد اليوم من جيوش المسلمين ترى بين الجندي وقادته هذا الالتحام والاحترام والحب، كيف يحب جندي هذا قائده وهو يذله بالليل والنهار؟ ويسحقه سباً وضرباً، فكيف تنتصر أمة هذا حال جيشها؟

فإذا أردنا أن يعود لأمة الإسلام مجدها الأول وأن يعود إليها العزة والكرامة والنصر تعين علينا أن نتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في العطف والبر والتواضع والحزم كقائد، وبالمسلمين الأولين كجند، فنتأسى بهم في الحب والترابط والتآلف، وبهذا يعود لأمة الإسلام مجدها وعزها القديم.

وعلى الظالم تدور الدوائر

أحب المسلمون الأولون نبيهم صلى الله عليه وسلم وأخلصوا لدينهم إخلاصاً لا يخطر ببال، فلقد صار الدي عندهم أعز من الدنيا وأغلى من الأهل، وأحب من المال والجاه والزعامة.

فهذا أبو حذيفة رضي الله عنه يلتقي مع والده عتبه بن ربيعة وجهاً لوجه فيزور عنه يميناً ويزور عنه شمالاً، فأبى والده إلا أن يقاتله، عند ذلك لم يجد هذا الفتى المؤمن بربه بداً من أن يقاتل والده الكافر ويطيح برأسه حباً لربه ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فلما خر الوالد على الأرض، خر الابن عليه يبكي بكاء مراً، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «أحزنك أن قتلت أباك الكافر يا أبا حذيفة؟ أما يرضيك أن أكون لك أباً»، هذا عزاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي حذيفة، فقد عاد من المعركة ووليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكأنه لم يفقد أحداً.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يلتقي مع خاله فيضربه بالسيف فيطيح برأسه.

وهذا أبوبكر رضي الله عنه يلتقي ووده في معركة فيفر ابنه من أمامه وأبوه يطارده، ويقول ابنه بعد أن أسلم: يا أبا بكر: لقد لقيتك في بدر وفرغت عنك حتى لا أقتلك، فيقول له أبو بكر: والله لو أركتك لقتلتك.

إن الإيمان الذي ملأ قلوب هؤلاء رضوان الله عليهم جعل كل ما سواه هيناً رخيصاً في نظرهم، وهكذا فالإنسان الذي ينشأ على عقيدة سليمة وإيمان صادق، وعمل صالح، يثبت مثل هذا الثبات، ويحب الدين أعظم من حب الإيمان والولد والمال.

بهذا الثبات والرسوخ حطم المسلمون الأولون حصون الكفر، وثأر المسلمون لكرامتهم ودينهم من صناديد الكفر في مكة، فهذا بلال بن رباح الحبشي يتابع أمية وهو في الأسر بين المسلمين، فيقول له بلال: ويْ أمية بن خلف رأس الكفر!! لا نجوت إن نجا!! ويدور حوله حتى دك رأسه بالسيف، وبذلك قد أخذ بلال لنفسه بحقه، فلقد كان أمية يحمل السوط وبلا عار من الثوب طريح على الرمضاء والحجر، فيجلده أمية حتى يلقي السوط ويقول: يا بلال ما تركتك رحمة وشفقة، وإنما تركتك لأنني قد تعبت من تعذيبك، ألا أجد من يشتريك بأبخس الأثمان، فيمر أبو بكر فيشتريه ويعتقه، وبعد مرور سنوات قليلة يشاء الله أن يقطع بلال رأس أمية الكافر وتحقق نصر الله له.

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بضرب عنق عقبة بن أبي معيط ذلك الكافر المعاند الذي كان يتعلق بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف حول الكعبة ويظل يتعلق به حتى يضرب ركبتيه الشريفتين في الأرض، وضُرت عنق عقبة، ووقف على رأسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لأصحابه وهم ينظرون: «إن هذا جاء في يوم وكنت ساجداً عند الكعبة فوضع قدمه ونعله على رقبتي وداس عليها حتى أوشكت عيناي أن تندران... وها هو الآن بين يديكم مقتول».

وهذا معاذ ومعوذ ابنا عفراء يقولون لعبدالرحمن بن عوف يا عم: أما تعرف أبا جهل، قال: وماذا تريدان منه؟ قالا: لقد نذرنا الله لئن رأيناه لنجدلدنه بسيفينا هذين فيدلهما عليه عبد الرحمن بن عوف فينطلقان إلى أبي جهل قائد جيش الكفر وفرعون أمته الذي وقف فيهم قبل المعركة وقال: «والله لا نعود حتى نأتي ماء بدر فنطعم الطعام وننحر الجذور ونشرب الخمر وتعزف على رؤوسنا القيان وتسمع بنا العرب فتهابنا أبد الدهر»..

فهجم الصقران المسلمان معاذ ومعوذ وكان أولهما عمره خمسة عشر عاماً وأما الثان فكان عمره ستة عشر عاماً، فجلداه بالسيف فخر يتلبد بدمه فالتفت ابنه عكرمة فضرب بالسيف معاذاً فقطع كتفه فتدلت خلفه فأخذ السيف في اليد الأخرى فلما عاقته يده المصابة في القتال وضعها تحت قدمه وتمطى عليها فقطعها وانطلق يجاهد في سبيل الله، من الذي أمسك النزيف؟ إنه الله. ومن الذي أمسك الألم حتى لا يغمى عليه؟ إنه الله ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ (الأنفال).

وهكذا يتحقق النصر لكل إنسان ينشأ على عقيدة سليمة وإيمان صادق أما من ينشأ على شعارات زائفة وهتافات فارغة وملاهي ورقص لا يثبت بل في الهزيمة كالغزال، وصدق فيه قول القائل:

أسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

وهذا هو واقع معظم جيوش العالم العربي والإسلامي لأنهم لم يتربوا على عقيدة الإيمان والإسلام إلا القليل منهم فما أحوج المسلمين في هذا الزمان أن يتربوا في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين ليكونوا رجالاً أعزاء أقوياء تعود لهم كرامتهم بين شعوب هذا العالم المليء بالكيد للإسلام والمسلمين.

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ (آل عمران).

الأقصى الأسير

ننظر إلى هذا التآمر على المسجد الأقصى وفلسطين، الذي شارك فيه بعض يهود العرب مع يهود إسرائيل، لقد ظل الأقصى والقدس تحت سيطرة الاستعمار الصليبي واحداً وتسعين عاماً، ومع هذا لم ييأس المسلمون، وهم يرون الصليب يدخلون ولأول مرة المسجد الأقصى والقدس الشريف، الأرض التي بارك الله فيها وحولها، ويرون الصليبيين وهم يقومون بذبح أكثر من ٧٠ ألف موحد، حتى خاضت خيولهم في دماء المسلمين إلى الركب، والمسلمون ما بين طفل صريع وامرأة ثكلى وشاب بتخبط بدمائه.

ومع طول هذا الأسر لم ييأس المسلمون، لأن الله موجود وكتابه موجود.

واليوم يجب ألا نيأس فلن تعدم الأمة رجلاً يقوم فيقول: الله أكبر.. الله أكبر، كما قالها من قبل صلاح الدين.

ومن أجل أن لا نيأس رغم ما نراه من التآمر وتوزيع الأدوار التي تقاسمها يهود العرب من عام ١٩٤٨م إلى عام ١٩٨٦م، فنقول: معذرة أيها الأقصى الجريح... إننا نسمع أنينك وبكاءك بمسامع قلوبنا فلا نقول، إلا كما علمنا رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم: «إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع ولا نقول إل ما يرضي الرب، إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا على أسرك وفراقك لمحزونون أيها الأقصى المبارك».

وا ... شوقاه إلى الدخول من بابك،.. وا .. شوقاه إلى الصلاة في محرابك، وا... شوقاه إلى تمرغ الوجه والجبين على ترابك، وا ... شوقاه لرؤية رايات التوحيد تخفق فوق قبتك المشرفة وفوق الصخرة المشرفة وعليها: لا إله إلا الله محمد رسول الله... والله أكبر ولله الحمد.

يجب أن نحس بمأساة الأقصى كما يحس أحدنا عندما يدخل بيته فيرى ابنه الوحيد تعصف به الحمى، فلا يقر له قرار، ولا يهنأ بطعام، أو منام حتى يحمله بين يديه وعلى صدره، وينطلق بأقصى سرعته إلى الطبيب، وعينه إلى الله الشافي الكافي، فلا يقر له قرار حتى يراه في عافية وصحة.

ورب الكعبة لن يتحرر المسجد الأقصى حتى يكون شعور كل مسلم كشعور هذا الوالد بولده المريض.

أما وقلوبنا معلقة برغيف الخبز وبالرتبة والراتب وبالبكاء وهز الرؤوس، ثم بعد ذلك تتطلع أشواقنا إلى ملاذ الطعام والشراب، والأفلام بأنواعها، والأغنيات والموسيقى، إلى آخر ما هنالك من ملذات الحياة، وهنيء العيش.

إن أمة مثل هذه لا يتحرر فيها المسجد الأقصى، بل يظل أسيراً بيد اليهود حتى توجد تلك الأمة التي يربيها القرآن ويربيها الإيمان.. أما الأمة التي تحارب الدين والإيمان في جميع مجالات حياتها. ففي الصحف تجدهم يرفعون شعار العلمانية فوق شعار لا إله إلا الله، وإذا نظرت لأموالهم رأيتهم يستلذون بحرب الله ورسوله بأكلهم الربا، وإذا نظرت إلى نسائهم وجدتهن كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسمنة البخت المائلة، وأمورهم قد وُسّدت إلى غير أهلها، وإذا كُشفت لك قلوب العباد وجدت أكثرهم قد دب فيه الوهن «حب الدنيا وكراهية الموت».

إن الذين يؤثرون الدنيا وملذاتها على الآخرة لا يطيقون تحرير المسجد الأقصى... إن صلاح الدين عندما أراد أن يحرر المسجد الأقصى كان لا يطيق النوم ولا يبتسم، ولا يأكل بعد اليوم واليومين لتراكم الهموم والأحزان، وكان ينظر إلى عكا من بعيد ثم يطلق زفرة لو أصابت يهده لاحترقت من الألم الذي يعتلج في قلبه، وهو يلتفت كالأم الثكلى التي فقدت وليدها في وجوه قادته ذات

اليمين وذات الشمال.. ثم يقول: يا للإسلام!! يا للإسلام!! ثم يقوم بنفسه على صهوة جواده ينتقل من بلد إلى بلد ومن مملكة إلى مملكة يجمع الرجال بنفسه، ويجهز السلاح، ويعد للقتال.. لم يعتمد على أحد رغم تكاثر القدة من حوله، حتى يعيشوا المعاناة كما يعيشها صلاح الدين ... وحتى يحسوا بحريق قلبه منبعثاً من كلماته وأنفاسه.

يقول قاضيه: إني أراه وهو ينظر إلى الأساطيل الصليبية وأنا أعدها أمامه من صلاة العصر إلى غروب الشمس أسطولاً أسطولاً وقد رُفع عليها الصليب فبلغت أكثر من سبعين مركبة، عليها الرجال مدججين بالحديد، يرفعون الصلبان والأناجيل ومع ذلك فإن صلاح الدين كان لا يزداد إلا قوة نفس.

ثم يلتفت صلاح الدين يعبئ الصفوف، ويجند الجنود، ولم يصل على ولده عندما مات صلاة الجنازة، لأن المسجد الأقصى أحق من ولده، إنه في يد الصليبيين وقد ذبحوا فيه أكثر من سبعين ألف مسلم، وهذا أحرى بالاهتمام منه بولده.

ولما أراد صلاح الدين فتح بيت المقدس بدأ بيهود العرب قبل الصليبيين، وبدأ بنصارى العرب قبل نصارى الصليبيين، التفت من حوله رآها دويلات ممزقة، متناحرة، كل مملكة عليها زعيم، يرى أنه الإله الذي يجب أن يُعبد في الأرض، يُشرع للناس كيف يشاء، وكلما تكونت حوله حفنة من هتافة التهريج قفز على المملكة التي حوله، وسلب نساءهم وبناتهم وأموالهم وجلس على العرش، يشرب الخمر ويعاشر النساء، وهكذا كان العرب في عصر صلاح الدين... وهُمَ هُمَ العرب في عصرنا هذا!!

ما الفرق بينهم يومذاك وبين من يقيمون حفلات الغناء والطرب والرقص والترويح؟؟!!

ما الفرق بينهم وبين من يفتحون شوارع كلها مملوءة بالملاهي؟!! تظل مفتوحة إلى آذان الفجر، يعلو في الغناء والنهيق والبكاء والتصدية عن ذكر الله، وروّاها في آخر الليل وقت السحر أكثر من رواد بيوت الله.

لقد بدأ صلاح الدين بهم، فتخلص من كل القيادات الزائفة، ووحد القيادة والجيوش، وبذلك استطاع أن يتقوى وأن يتحرك بجيشه وذلك عندما قضى على الذين كانوا يحمون الصليب أكثر من أهل الصليب، ويدافعون عنه أكثر من أهله، كوضعنا الآن وكحالنا اليوم، نقضي على الإسلام وأهله، ونرفع الإنجيل وأتباعه، والحجة في ذلك واهية ضعيفة هي عدم التعصب والتمييز.

إن من يسمون أنفسهم بحماة فلسطين، ومحرري الأقصى، إن هؤلاء يحمون اليهود أكثر من أجهزة الإنذار الأمريكي التي يملكها اليهود، وهم يجمعونها أكثر من المستعمرات التي تُزرع كل يوم في وضح النهار والشم طالعة.

ويهود العرب أمام زرع المستعمرات يسمون يهود إسرائيل بحمائم المحبة وعنوان السلام!!!

التاريخ يعيد نفسه، فلا تعجبوا إذا ظل الدعاة إلى الله في مشارق الأرض ومغاربها في داخل السجون، أو خارج أوطانهم، أو على أعواد المشانق.

سيظل هذا الحال إلى أن نحرر نفوسنا من كل هوى واتباع لغير الإسلام، ونعتصم بحبل الله المتين إخواناً، ينزع كل منا ما في نفسه من غل على المسلمين، ثم نتجه نحو التصنيع الذاتي للعتاد الحربي نعده سلاحاً ونعد المؤمنين للجهاد، ونربي هذه الأمة على الجهاد والعزة والكرامة، ونحرر الولاء من غير الله، وأن نجعل قضية فلسطين قضية كل المسلمين عند ذلك فقط نستطيع أن نطمئن إلى تحرير الأقصى وأن نستبشر بذلك، يقودنا صلاح الدين الجديد لإعلاء كلمة الله وتحرير الأقصى.

التآمر على الأقصى

المتآمرون على الأقصى الآن يجهزون طبخة جديدة لأولاد صهيون، أعلن عنها رئيس لجنة الدفاع عن الأقصى عندما قال: نريد مؤتمراً عاجلاً لاختيار رئيس يمثل الحكام العرب جميعاً للصلح مع الكيان الصهيوني في فلسطين.

وأمام هذا النداء الظالم قامت أمريكا بمناوراتها أمام ليبيا لتلفت أنظار الشعوب عن خطورة مثل هذا القرار، وصرح الممثل للمنظمة باعترافه بقرار ٢٤٢ الذي يؤكد بقاء حكومة اليهود في فلسطين، وتمت زيارات سريعة بين بعض القادة للتشاور في تحديد الموقف أمام شعوبهم التي أصبحت تنتظر الرد الحاسم أمام هذه المؤامرة السافرة.

وشدد اليهود من ضرباتهم على لبنان ليحسم الحكم العرب الموضوع ويتم الصلح الرسمي العلني بينهم بينها.

ونحن لا نقول لهم إلا ما قال الله:

﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ (إبراهيم).

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنفال).

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾ (الطارق).

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ (الفجر).

شركاء القاتل

يمارس الآن في لبنان تصفية الفدائيين، وستكون هناك كما يقول أبو عمار: «مجازر رهيبة سيتعرض لها الفلسطينيون».

ولتعلم دول الدعم!! أن كل قطرة دم ستهرق، وكل طفل سيشرد، وكل عرض سيهتك، وكل الشباب الحيارى والنساء الثكالى سيكون لدول الدعم وللنواب الذين وافقوا على الدعم، وللناخبين الذين انتخبوا أولئك النواب سيكون عليهم وزر وإثم يحاسبون عليه عند الله يوم القيامة، فالحديث يقول: «من أشار إلى أخيه بحديدة لعنته الملائكة»، فكيف بمن يدفع قيمة السلاح القاتل للمتآمر العميل.

وليعلم أولئك أنه من شارك في قتل مسلم ولو بشطر كلمة كبه الله على وجهه في النار، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ (العنكبوت).

الميلاد الظافر لسليمان خاطر

من كان سيعرفه لو ظل ذليلاً ينظر إلى بقايا اليهود على ساحل البحر عرايا؟ من سيذكره لو خاف على الرتبة والراتب؟

ولكن من حمل القرآن في قلبه والرشاش بيمينه لا يصبر على الضيم والعار، ومن اشتاق إلى جمال الحور العين الباقي، هان عليه إغراء الحسناوات من بني صهيون.

لقد ولد من جديد، ودخل من أبواب المجد، وصار «الشرطي المصري» ما تسميه الإذاعات العربية!! بطل العام الجديد، وفاضح الطواغيت، وخير من اثنين وسبعين جيشاً أعدت للمهرجانات والاحتفالات.

إن موته حياة، وسجنه خلوة، وجنازته بعث للأمة من جديد، وإن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا لله وإنا إليه لراجعون، وإنا على فراقك يا سليمان خاطر لمحزونون ومقهورون وثائرون، وهل في الجنود هناك من يقوم مقامه؟ ويسد ثغرته.

يقول الشاعر يوسف أبو هلال:

محنة ودعت وأخرى أغارت ... دُكَّ من عصفها البناء المشيد
والمناحات في الديار تعالت ... ولها كادت الرواسي تميد
نصف أوطاننا كهوف بغايا ... منتنات ونصفهنّ لحود
أيها الدين أنت قائدنا للنصر ... دوماً لو ساندتك الجنود
يا قيود الطغاة منك ضجرن ... وعلى القهر كيف تعفو الأسود

يا حياة الإنسان إن صار عبداً ... يمتطي ظهره شقي مريد
ونرى الموت راحة إن تعالت ... في حمانا زعانف ومرود
ناصريون نصرهم أين ولى ... يوم داست على الحياة اليهود
حين بدلتم الجهاد نكوصاً ... ذل ساداتكم وذل المسود
نكره النائمين في ساحة ... الإسلام هون حياتهم وهمود
إن شخصاً يرى الهوان ويعفي ... سهو في شرعنا الحمار البليد

الرجال يحتاجون إلى أفغانستان وفلسطين

إني لا أناقش فتوى الجهاد في أفغانستان أو فلسطين، وهل هو فرض عين أو فرض كفاية، فهذه ليست قضيتي.

وأنا لا أناقش من يقول: إن الجهاد هناك لا يحتاج إلى رجال، ولكني أقول: وهل الرجال لا يحتاجون إلى الجهاد؟ وهو ذروة سنام الإسلام، وإن خنادق المجاهدين أفضل محراب للعابدين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ساعة جهاد في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود».

إن الله أحيا الجهاد ضد أقوى دولتين في العالم روسيا الملحدة، وأمريكا اليهودية، داخل أرض فلسطين، أو في أفغانستان.

نعم: إن شباب القرآن الآن ينظمون أنفسهم تحت شعار «الواثقون بنصر الله» يقاتون اليهود بالسلاح الأبيض والخنق بالأسلاك المعدنية وكل وسيل صامتة تحملها يد صامدة.

إنه طريق النصر يا شباب فلسطين، يا خيرة الأرض المحتلة. ولا طريق للنصر سواه يا رواد المسجد الأقصى.

تحركوا أيها الشباب، وتدربوا على فن القتال بالأيدي: «الجودو» و«الكاراتيه»، وقاتلوا بالأيدي والسكاكين والعصي والبلطات والحجارة والخنق وفقأ العيون والحرق، وبث الإشاعات المرعبة والاغتيال بالسم والدهس بالسيارات وتخريب السيارات لتسقط من الجبال. وتعلموا صناع قنابل المولوتوف الحارقة، وتعلموا تعطيل المرافق الحيوية لليهود، وإزعاجهم بكل وسيلة في الليل والنهار، ووجهوا كل طاقاتكم ضد اليهود، واليهود لا سواهم، والله معكم ودعاء الصالحين يثبتكم وثقوا بنصر الله العزيز القدير.

يوم الجهاد

نريد يوماً للجهاد ليذكرهم بفضل الجهاد والشهادة في سبيل الله، ويعيشون معه بصدق أيام الفتوحات الإسلامية الكبرى كيوم القادسية واليرموك وأجنادين وغيرها، فالجندي لا يقاتل بسلاحه، إنما يقاتل بقلبه، وهذا العمل المبارك هو سنة الأنبياء والقادة الفاتحين، إذ يخطبون في جنودهم قبل المعارك فيذكرونهم بالجنة، وما أعد الله فيها للشهيد من كرامة، ويبينون لهم أن كل ذرة من الغبار خير لهم من الدنيا وما عليها، وأن من قاتل دفاعاً عن العقيدة أو المال أو النفس أو العرض أو الأرض المسلمة أو المظلمة ودفعها فقُتل فهو شهيد.

وللشهيد عد الله سبعة خصال: يغفر له عند أول دفعة من دمه، ويرى مكانه في الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما عليها، ويزوج بسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه.

نريد يوماً للجهاد لأبنائنا الذين ألهتهم زخارف الدنيا، وللمواطن الذي انشغل في تحصيل لقمة العيش، وللأم التي تتابع بيوت الأزياء، وأن يقوم الإعلام بتغطية هذا اليوم لتعود الأمة فتلتحم قلوبها بأبطال معركة الجهراء.

الطيار اليهودي!!

روى البخاري ومسلم أن «أبا موسى الأشعري» رضي الله عنه ذهب مع رجلين إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأل الرجلان النبي صلى الله عليه وسلم الإمارة على اليمن! ولم يسألها أبو موسى فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهم: «**لن نستعمل على عملنا من أراده، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى إلى اليمن**».

ثم أتبعه «معاذ بن جبل» رضي الله عنه، فلما قدم «معاذ» عليه ألقى «أبو موسى» له وسادة، وقال له أنزل. وإذا برجل يهودي عند «أبي موسى» مربوط!! فقال «معاذ» ما هذا؟ قال: هذا يهودي فأسلم ثم تهود!!

فقال «معاذ»: لا أجل حتى يُقتل. قضاء الله ورسوله.

فأمر به أبو موسى فقتل. فجلسا معاً يتذاكران قيام الليل!!

بهذا الأسلوب القوي أدبّ الإسلام اليهود.

واليوم ومع الأسف الشديد يقع الأسير الطيار المحارب الذي قصف النساء والأطفال والشيوخ والدواب والحقول، وهدم المنازل والمدارس والمستشفيات على المرضى في لبنان ومخيمات اللاجئين ثم يُسلم إلى حكومته مكرماً، وبنفس الصورة التي تتكرر منذ حرب ٦٧ يوم أن شاهدنا الطيار اليهودي في التلفاز وهو يشرب الشاي ويبتسم، ويعود سالماً إلى حكومته.

إننا نحتاج إلى مثل «معاذ بن جبل» رضي الله عنه الذي لا يطيق الجلوس على وسادة حتى يرى دم اليهودي يسيل على الأرض، لأنه خان عهده مع الله.

لن ننتصر عليهم حتى يصبح كل حاكم وقائد عسكري (لا أجلس حتى يُقتل آخر يهودي)!! قضاء الله ورسوله!!

سحقاً لمشاريع السلام.

رجال الصومال

عرفنا بعض رجال الصومال في الكويت منذ بداية النهضة فكانوا مضرب المثل للصبر والرجولة والحيوية والحرص على الدين. والآن تصلنا الأخبار عن خطة رهيبة في تنصير الشعب الصومالي المسلم ومحاربة العلماء والدعاة ومظاهر الدين، ولم نسمع تحركاً جاداً لإنقاذ العقيدة التي بدونها تضيع الأعراض والأخلاق.

أيها الشعب الصومالي المسلم الغيور كيف تصبر على الضيم؟ وأنت الذي تحملت المشاق الصعاب من أجل حريتك وكرامتك؟ هيا إلى جهاد وشهادة.

والشهيد له عند الله سبع خصال يغفر له عند أول دفعة من دمه، ويرى مكانه من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويؤمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة فيه خير من الدنيا وما عليها، ويزوج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه.

معانٍ جديدة

خطب أحد القادة العرب أيام شبابه قائلاً: «كنت أكمل دراستي الجامعية في فرنسا وسكنت عند فتاة فرنسية حسناء وبعد ستة أشهر أخبرتني تلك الفتاة أنها حامل مني، فقلت لها عجباً يا سيدتي، كيف يكون هذا والأطباء يقررون أنني عقيم لا أنجب؟!

«غير أن إنسانيتي لم تسمح لي أن أتركها وطفلها المنتظر، فقمت وتزوجتها تبنيت طفلها»، وهنا صفقت له الجماهير على حُسن أخلاقه، وكمال إنسانيته، وصفحته البيضاء كعادة كثير من القادة!!

وأصبح أمل الجماهير الكادحة أن تتبنى قياداتها الثورية مثل هذا المبدأ الإنساني الشريف، بعداً لأولئك الشرفاء!! المهم أن القيادة الثورية الحاكمة أعطته لقباً حركياً فسمته «بالمجاهد الأكبر، والأخ الأكبر».

فأضاف بذلك معنى جديداً للجهاد والأخوة العربية على المعاني الجهادية الجديدة التي يمارسها بعض القادة الآن مع شعوبهم!!

العقل اليهودي والمال العربي

لقد زار البلاد في الأسبوع الماضي رئيس وزراء المغرب ونقل التلفاز وقائع المؤتمر الصحفي، ولقد لفت نظري سؤال طرحه أحد المراسلين:

س: يا سيادة الرئيس.. إن الجميع يعلم الدور الذي قام به عاهل المغرب في الوساطة بين مصر وإسرائيل واللقاء الذي تم بينهما في المغرب، فهل هناك وساطة مماثلة في إيقاف الحرب العراقية الإيرانية؟

ج: إن هذا ليس بالخبر الجديد، وإن جلالة الملك قد أجاب على مثل هذا السؤال في مواقف كثيرة!!

ونحن نقول: ما الإجابة يا سيادة الرئيس؟! لماذا لا نكون مع شعوبنا صرحاء ولو مرة واحدة؟!

لماذا لا نقول بصدق إن هذا العمل خيانة كبرى للأمة الإسلامية وفلسطين والمسجد الأقصى؟

لماذا لا نواجه الشعوب الحائرة بالحقيقة ولو مرة؟

إن هذا التضليل أشد خطراً من الحرب العراقية الإيرانية وإسرائيل.

ألم يقل عاهل المغرب للعالم ذات مرة: «لو اجتمع العقل اليهودي المخطط والمال العربي لأنتج ذلك حضارة إنسانية كبرى»!!

كفانا تضليلاً للشعوب، إن الماسونية التي توصي بمثل هذا اللقب والدوران ستكون نهايتها إن شاء الله على يد الطائفة المؤمنة.

استثمار القرار في السودان

إن الحركة الإسلامية في القطر السوداني الشقيق عليهم الآن مسؤولية كبرى في استثمار قرارات السلطة التنفيذية في تطبيق الشريعة في جانب الحدود وتحريم الخمور، والفرصة سانحة لتوسيع هذه القرارات لتشمل الإسلام كله في جميع جوانبه السياسية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية والعسكرية والإعلامية، وأن لا تفوت فرصة الاستثمار كما فاتت في ليبيا من قبل، والعمل على الاستفادة من مثل هذا القرار مع الحذر الشديد من التأييد المطلق للنظام لأنه لا يزال يحتفظ بمواقفه السابقة والتي لا تنسجم مع الإسلام وإن الاستثمار الجاد والسريع والمنظم هو الذي سيبين صدق السلطة أو عدمه والمؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين.

(أثبتت الأيام أن نميري استغل تطبيق الشريعة الإسلامية لتغطية جرائمه وخياناته، وكان من فضل الله على الحركة الإسلامية أن زج بها في السجون، وذلك تدبير الله حتى لا تتهم بالخيانة والمشاركة في إثم تهريب اليهود).

يا شعب السودان انتبه..!!

غدر البيت الأبيض بالنميري كما غدر من قبل بغيره من الزعماء، فاحذر يا شعب السودان المسلم من البديل القادم، ولا تقبل إلا قائداً مسلماً واحرص على إخراج المسلمين من السجون قبل أن يصعد على السلطة العسكريون، أو الشيوعيون فتكون كالمستجير من الرمضاء بالنار.

اتحد يا شعب السودان مع القيادة الإسلامية واتصل بها في السجون وخذ منها التوجيهات لا ترض غير الشريعة الإسلامية منهجاً ودستوراً.

(هذا المقال بعد أن أطاح الشعب السوداني البطل بالخائن جعفر نميري عميل الفلاشا اليهود).

الفصل الثالث

في الجهاد

الإسلام عقيدة وعبادة وعمل

من يتأمل بدقة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة يجد أن الدين الإسلامي يجمع بين العقيدة الصالحة والعبادة السليمة والمعاملة الطيبة، ثلاثة أمور جمعها القرآن الكريم في قول الحق تبارك وتعالى:

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ (الماعون).

فالسورة الكريمة وقد اشتملت على القضايا الثلاث (العقيدة – العبادة – المعاملة) وبيان ذلك: أن قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾﴾ (عقيدة)، فالذي يكذب بالدين، يكذب بيوم القيامة، وما اشتمل عليه من بعث وحساب، وجنة ونار، وصراط ورؤية الله تعالى، وغير ذلك مما يكون في ذلك اليوم العظيم.

ويترتب على انعدام العقيدة المترتبة على التكذيب باليوم الآخر القضية الثانية وهي: المعاملة، ذلك أن صاحب القلب الخاوي من الإيمان تراه فظاً غليظ القلب، لا تعرف الرحمة سبيلاً إلى قلبه، وأكبر دليل على ذلك إهانته لليتيم، وحرمانه للمسكين، فلا يتصدق عليهما ولا يشجع على الإنفاق، بل إذا رأى إنساناً يعطي مسكيناً قال له: هل أنت مجنون؟!! لماذا تبذر أموالك؟ وغير ذلك من وسائل التنفير.

ثم تأتي القضية الثالثة وهي: (فويل للمصلين) فهذا الصنف من الناس مع أنه يصلي، لكن الويل له لأنه سها وتلهى عن غايات ومقاصد الصلاة، فتراه يصلي بقالبه لا بقلبه، وبشبحه لا بروحه، والصلاة عنده مجرد عادة

وليست عبادة، ويوم أن تتحول صلاة المسلم إلى عادة فهي صلاة باهتة مية لا خير فيها ولا بركة، لأن صاحبها لا يريد بها وجه الله، وإنما مجرد الوباء والتظاهر بالصلاح أمام الناس ليكسب حبهم وقربهم وهم: (ويمنعون الماعون) أي ويمنعون الخير، فقد رمز له بالماعون الذي يوضع فيه الطعام.

وهذه القضايا (العقيدة، العبادة، والمعاملة) على جانب كبير من الأهمية، ولذا ركز عليها القرآن تركيزاً دقيقاً، سواء في حديثه عن المؤمنين في الدنيا:

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ (البقرة).

أو في حديثه عن الكافرين في الآخرة في قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ (المدثر).

كما تحدث القرآن أيضاً عن القضايا الثلاث من خال الممارسة لعبادة الله في قوله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) سلوك اجتماعي، (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ عبادة، ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ عقيدة، (الإنسان).

ولكن لماذا ركز الإسلام على هذه القضايا الثلاث؟

ركز عليها لأهميتها في حياة المسلم، وحتى لا يصبح المسلم مبتوراً مقطوعاً، لا يمت للمجتمع بصلة، وليس بينه وبين غيره تعاطف وتعاون.

ولكن ما مدى تمسك المسلمين بهذه القضايا؟

من ينظر إلى المسلمين في هذا الزمان يجد أنهم أخذوا ببعض هذه القواعد الثلاث، فترى المسلم: يعتقد في قلبه عقيدة ليس لها متنفس عبادي، ولا متنفس

سلوكي، فهي عقيدة قلبية فقط. وإما أن يكون قلبه خاوياً من العقيدة الصحيحة السليمة، وغير مستقيم في جانب السلوك الاجتماعي، ولكنه مهتم بالجانب التعبدي، فتراه يقيم الليل ويحرص على الصلوات الخمس، ولكنه مع ذلك يأكل الربا ويصاحب الفاجرين، ويترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فأين أثر الصلاة؟ وأين مستلزمات التوحيد، فهو يصلي ولكنه لا يُخرج درهماً واحداً في سبيل الله، وهناك صنف ثالث من المسلمين بأسماء المسلمين، وهم العلمانيون الذي ليس لهم عبادة صحيحة ولا عقيدة سليمة، ولكنهم يهتمون بالجانب الخلقي، فلا يظلم ولا يسرق.... إلخ، ولكنه لا يصلي فإذا أمرته بالصلاة يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ (العنكبوت).

وأنا لست من أهل الفحشاء والمنكر، وإذا قيل له اعتقد عقيدة أهل السنة والجماعة، أجاب معترضاً لماذا؟! إنني على أحسن ما يكون في خلقي، ولكنهم جميعاً وبالتمحيص والتحقيق نجد أن هؤلاء جميعاً في ضلال وبعد عن الدين، ولكنهم (أي الأصناف الثلاثة) في ضلال.

ولكنهم يتفاوتون في ذلك بين الكافر والمقصر ولا بد من الجمع بين القضايا الثلاث (العقيدة، والعمل، والعبادة) وبدونهن يكون الإنسان قد زاغ عن الصراط المستقيم.

فعلينا أن ننتبه إلى مقاصد الآيات في كتاب الله، وأن نتدبرها ونتذكرها، ونعمل بتعاليمها فيما تأمر به وبما تنهى عنه، وخير وسيلة تدفعنا للتدبر في آيات الله والعمل بمقتضاها أن نتذكر يوم يقف الإنسان بين يدي الله ليحاسبه عن دينه، وعن عقيدته وعن عمله، فإذا لم يحسن الرد، يأمر رب العزة ملائكة

العذاب أن تجره إلى النار جراً يقول تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ (الحاقة).

وليعلم كل منا أنه ليس في الإسلام أمر صغير وآخر كبير، بل يجب علينا أن نعي وأن نتفهم ونطبق كل ما ورد في الشرع، كما فعل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، فقد كانوا أعظم ما يكون عليه المسلم من الورع والتقوى والعقيدة والعمل.

أسأل الله أن يرشدني وإياكم إلى الصواب وأن يجنبنا الزلل إنه على ما يشاء قدير.

الكلام في صفات الله وأسمائه وأفعاله

أعجب أيُّما عجب لاختلاف الناس في أسماء الله وصفاته وأفعاله، فإذا عدنا إلى القرن الأول والثاني والثالث من الهجرة، حيث صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان... لا نجد بينهم خلافاً في أسماء الله وصفاته وأفعاله.

والسبب يعود إلى أنهم رضي الله عنهم فهموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن حق فهمه، فالقرآن أُنزل فأحسنوا تلقيه، وأحسنوا فهمه، وأحسنوا تطبيقه، لهذا أنجاهم الله من الاختلاف.

فالله سبحانه سمّى نفسه بأسماء كلها حسنى، ووصف نفسه، ووصف نبيه بصفات، وصفاته كلها عليا، وذكر أن له أفعالاً سبحانه وتعالى والسلف كلهم تلقوا ذلك دون خلاف.

ولم أجد واحداً صحيحاً أو ضعيفاً، ولا قولاً مأثوراً عن الصحابة أو السلف أنهم اختلفوا في هذه القضية، أو أي قضية أخرى من قضايا التوحيد والاعتقاد... فكلهم متفقون على عدم البحث عن كيفية صفاته سبحانه وأفعاله.

وآيات الله في الأسماء والصفات والأفعال في القرآن الكريم أكثر من جميع آيات الأحكام وآيات الحلال والحرام، ولكن الصحابة لم يسألوا عن تحقيقها وكيفيتها ولكنهم رضي الله عنهم كانوا يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن فرعيات الأمور... حتى أن القرآن قص علينا بعض ما يسألون عنه من ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ (البقرة: ١٨٩).

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ (البقرة: ٢٢٠).

فقد كانوا يسألونه فيها، ولا يسألونه عن أسماء الله وصفاته وأفعاله لأنها قضية مفهومة معلومة واضحة عندهم، فلا لبس فيها ولا خلاف، وعلى كثرتها لم يقولوا: يا رسول الله: كيف سمع الله؟ أو كيف بصر الله؟ أو كيف يضحك الله؟ أو كيف يغضب الله؟ أو كيف يعجب الله؟.. فما ورد منهم مثل ذلك أبداً.

بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر ذات يوم – والصحابة جلوس حوله – فقال: «إن الله ينظر إلى عباده قانطين يائسين فيضحك، لأنه يعلم أن فرجه قريب». فيقول أحد الصحابة: أيضحك ربنا يا رسول الله؟ قال: «بلى»، قال: إذن لا نعدم الخير من رب يضحك.

لم يقل أحد من الصحابة: كيف يضحك ربنا؟؟ كما يقول بذلك المبتدعة وقد أخذوا يسألون عن الكيفية... فدل ذلك عن أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا متفقين على معاني الأسماء والصفات والأفعال... وكذلك كانوا متفقين على عجز الإنسان الإحاطة بكيفيتها، لأن القرآن من أوله (وهي سورة الإخلاص) قد عالج عندهم هذه القضية وفهموا مراد الله من هذه الآيات فلم يخرجوا عن ذلك، وقد رد الله كل الأوهام البشرية في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى).

فكانت أصلاً من الأصول، تضمنت نفي وإثبات، نفت أن يماثله شيء، فالمخلوق لا يشبه الخالق أبداً، لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، فالله واحد بأسمائه وصفاته وأفعاله، وقد ثبت في نفس الآية السمع والبصر لله رب العالمين... فالسمع والبصر للإنسان يناسب حال الإنسان، والسمع والبصر يليق بجلاله وعظمته.

ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان يعلم أن معاني الأسماء والصفات والأفعال ليست على حقيقتها، وإنما لا بد من تأويلها ما حل له أن يكتمه عن الصحابة، لأن الله أمره بالتبليغ وسيحاسبه يوم القيامة، وكان صلى الله عليه وسلم يقول في حجة الوداع: اللهم هل بلغت، فيقولون: نعم، فيرفع أصبعه إلى السماء ثم ينزله على الصحابة ويقول: اللهم اشهد... اللهم اشهد... اللهم اشهد... ثلاث مرات، ... لأنه ما ترك وحياً من الله إلا وبلغه... فاكتمل الدين وثبتت العقيدة.

ولكن كر الزمان وتعاقب الأيام، جاء لنا بالمبتدعة بعد ذلك فأخذوا يؤولون صفات الله سبحانه وتعالى، وأخذوا يعطلون بذلك الفهم السليم للدين، فلو أخذنا قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: «إن ربكم ينزل في الجوف الأخير من الليل إلى السماء الدنيا»، كذلك ... وهذا من أفعال الله سبحانه وتعالى وهو نزوله إلى السماء الدنيا، فلو قلنا للناس إن الله لا ينزل، لأن النزول من صفات تعالى الله علواً كبيراً عن أن ينزل، والسموات مخلوق من مخلوقات الله، فكيف ينزل الله سبحانه إلى هذا المخلوق!؟ - لو أوّلنا هذا التأويل الباطل لحرمنا كثيراً من العباد فضل هذا الحديث، لأنه يقول: «إن ربكم ينزل كل ليلة في الجوف الأخير من الليل فيقول: أنا الملك.. أنا الملك... أنا الملك... إلى أن ينفجر الفجر»، كم من نعمة استفادها العباد إذا ما استيقظ أحدهم في الجوف الأخير من الليل ورفع يده إلى الله وهو يستشعر أن الله قد نزل نزولاً حقيقياً يليق بجلال اله: (ليس كمثله شيء) فيما يستغر الله ويسأله.

ولو أنا أدخلنا المقياس العقلي البشري أن قضي النزول كما يقول المبتدعون: لعطلنا الكثير من الآيات الآية كذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ

مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (الأعراف).

فهذا التجلي حقيقي، وقد اندك الجبل فعلاً، فماذا تقولون عن هذا التجلي؟؟ أهو حقيقي أم مجاز؟؟ إنه حقيقة واقعة لا مجاز فيها.

إذن كما يقول الله عن نفسه: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)، فنؤمن أن لله تسعاً وتسعين اسماً، وكلها حسنى تليق به سبحانه ولله سبحانه صفات وأفعال... يأتي ويغضب ويضحك ويمقت ويكره ويحب... وكلها وغيرها من أفعال العباد، وهي معناها باللغة العربية معلوم وكيفيتها مجهولة، والإيمان بها واجب، والسؤال عن كيفيتها بدعة، وهي من أصول التوحيد والاعتقاد.

والقرآن نزل بلغة العرب، وما كان القرآن ليحدث العرب بطلاسم وتهويمات روحية وسحر، وإنما هو كلام الله المعلوم عندهم، لهذا لم يناقشوا أبداً هذه الكيفية، ولم يناقشوا معانيها، لأنها معلومة عندهم، فهم يعلمون معنى الحليم والسميع والبصير والرحم والرحيم... وغيرها من صفات الله وأفعاله.

وعلى المسلم أن يترك أقوال هؤلاء الجهلاء أصحاب التأويل من أمثال المعتزلة والجهمية والمعطلة والمشبهة والنفات أمثالهم من أصحاب الفلاسفة وعلم الكلام، يلتزم عقيدة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح.

لكلٍّ ما يناسبه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كل ميسر لما خُلق له**».

حين تدبرت هذا الحديث الشريف علمت أن ديننا الإسلامي في مجال الدعوة والجهاد إلى الله يضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فلا تختلط الأعمال ولا المستويات، وإما كل ميسر لما خُلق له.

والله جل ثناؤه لم يخلق الناس على مستوى واحد من الفكر والشعور أو التصور، وإنما جعلهم مختلفين ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً، فبعضهم قادة والبعض الآخر جنود، والبعض صناع وعمال والبعض الآخر مفكر أو مخطط أو مهندس أو طبيب، وهكذا ليعمر الكون، وتسمر الحياة.

فديننا الحنيف ليس دين ارتجالية، وإنما يضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فالرسول صلى الله عليه وسلم يضع على الجيوش قائداً عسكرياً، ويضع على القضاء عالماً فقيهاً، وعلى الإدارة والصدقات المتخصصين في ذلك وهكذا.

أما اليوم فقد اختلطت الأعمال، ووضع الرجل في غير مكانه، فبارت الأعمال، وتعطلت المصالح، وضاعت الأمة، وأصبح الرويبضة الذي لا خير فيه يُشار إليه بالبنان، ما أعلمه ما أحلمه، ما أزكاه، وهو لا يساوي عند الله جناح بعوضة.

إن الدعوة والجهاد إلى الله – انطلاقاً من هذا المفهوم التطبيقي لهاذا الحديث، «كل ميسر لما خلق له»، تلزم كل فرد أن يعمل في مجال تخصصه وعلمه، فدعوة الطبيب وجهاده ليس بالدروس والمحاضرات، أو الارتقاء على

المنابر ليلقي الخطب، إنما جهاده أن يمسك بيديه المشرط والمبضع، وأن يعالج المرضى، ومن خلال هذا العلاج يدعو إلى الله ويجاهد في سبيل الله، هذه هي دعوته، وهذا هو دوره وهذا مكانه، فإذا ترك المبضع وترك العلاج والدواء، ثم تظاهر بالدروشة وتقلد الكتب وأخذ يسيح في الأرض يميناً وشمالاً لكي يخطب أو يُدرس فقد ترك موقفه الحقيقي، وخالف ما خلقه الله له، وقد يُضيع بعض مصالح المسلمين بفله هذا فيأثم وهو يظن أنه على طاعة الله وهذا لا يمنع أن يكون عالماً مستقيماً داعية إلى الله من خلال عمله، فالله عندما أراد أن يختار لبني إسرائيل قائداً لم يختر لهم ثرياً ولا حسيباً ولا نسيبا، إنما اختار لهم طالوت وذلك لسببين:

أولهما: أن الله زاده بسطة في الجسم فيتحمل أعباء قياد الجيوش ومشاق الجهاد.

ثانيهماً: أن الله زاده بسطة في العلم.

ولكن اليهود اعترضوا على الله... واعترضوا على رسول الله، لأن مقياسهم مقلوب، وتصورهم منكوس، فهم يريدون قائداً ثرياً يكون أكثر الناس مالاً، هذا هو ميزانهم، ويوم يكون هذا الميزان هو المقياس عند الناس تذهب الحضارة وتضيع الأمم، وتختل الموازن، ويتقدم التافهون، ويتأخر العلماء، وهكذا تنقلب الحياة ويعم الفساد في كل مكان.

من أجل ذلك ننبه إلى خطوة هذه القضية فهذا لا يجيد إلا أن يكون إمام مسجد، وهذا لا يجيد إلا أن يكون مدرساً، وهذا لا يجيد إلا أن يكون مهندساً، وهذا لا يجيد إلا أن يكون مقاتلاً، وهذا لا يجيد إلا أن يكون صانعاً... وهكذا...

فإذا علم الإنسان موقعه فأحسن وأجاد... فقد تقدم إلى الله بطاعة

عظيمة تفضل كثيراً جهد غيره في غير مجاله، ولا يأتيه مثل ثوابه، فهذا الطبيب مثلاً لو خرج كل يوم من بيته بنية عيادة المريض فهو يمارس هذه العبادة كل يوم من بداية الدوام إلى نهايته، فيستغفر له سبعون ألف ملك عن كل مسلم يعوده إلى أن يرجع إلى بيته، فإذا أنقذ شخصاً قد أشرف على الموت، كتب الله له بعدد أحياء الأرض حسنات وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢).

فصاحب المال يجاهد ويدعو إلى الله بهذا المال، فيتصدق منه على الفقراء والمساكين، ويخرج زكاته، ويساهم به في الجهاد الإسلامي عند ذلك، يكون على الصراط المستقيم، والصراط المستقيم هو آمن وأقص طريق يوصل إلى الله، حيث يعر دوره الذي اختاره الله له، وخلقه من أجله، ويسره له فيؤديه على أتم وجه.

لذلك كانت الأم راعية ومسؤولة عن رعيتها في بيت زوجها، وأطفالها، والأمير راع ومسؤول عن رعيته، وكل مسؤول راع في نطاق عمله ودائرة اختصاصه ومسؤول عن عمله، فإذا تداخلت الأعمال والتخصصات والمسؤوليات فقد يأثم الإنسان وهو يظن أنه يأتيه الثواب.

إن ديننا يتسم بالتوازن، فلا إفراط ولا تفريط، وكل مسلم يعرف قدراته ومكاناته فيعمل حسب ذلك، فننتبه إلى هذا الفهم في مجال دعوتنا وجهادنا إلى الله، فصاحب المال يعرف موقعه، وصاحب العلم يعرف موقعه، وصاحب الوجاهة (المنصب) يعلم أن الله يسره لهذا العمل فلا بد أن يدعو من خلاله، فإذا جاءه المسلمون قضى حاجاتهم، وهكذا كل حسب قدرته ومكانته.

فأصحاب المذاهب الهدامة الماسونيون والبعثيون والشيوعيون وغيرهم ينصر بعضهم بعضاً، ويأخذ بعضهم على أيدي بعض، ونحن أهل السنة

والجماعة تركنا التعاون فيما بيننا، وهجرنا التناصر والتعاضد، وصرنا نتعامل مع بعضنا معاملة سيئة، ولا يقف أحدنا مع أخيه، ولا يكون في عونه، ونسى كثير منا أن الله سوف يحاسبه على إهماله لأخيه المسلم، ونسى أنه إذا جاءه صاحب حاجة عليه أن يفرج عنه، لأن الله ساق له ثواباً، وباب أجر لم يكن له في الحسبان، فليس هو المتفضل، ولكن الله هو المتفضل عليه، عندما ساق له هذا الثواب وهذا الأجر.

وبمثل هذا الفهم سادت الدولة الإسلامية، وقامت الحضارة الإسلامية، وساد المسلمون العالم، وقادوا البشرية، ولهذا فإن الدعوة إلى الله تحتاج إلى مثل هؤلاء المتخصصين.

ومن المؤسف أن يغيب هذا المفهوم عن إخواننا الملتزمين بالدعوة الإسلامية إلى الله، ولو وعوا هذا الأمر لأصبح كل واحد منهم يبحث عن الموقع الذي خُلق من أجل ويسره الله له، فيسد ثغرة من ثغرات المسلمين، قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ (التوبة).

فرؤية الله للعمل رؤية حقيقية تليق بالله، ورؤيتك أنت لعملك لله أن تخلص العمل لله رب العالمين، ورؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً لهذا العمل هي رؤية حقيقية في حياته، ثم بعد مماته أن تتخذه القدوة الحسنة، ورؤية المؤمنين لهذا العمل انتفاعهم به.

الانحلال من قلة الحلال

قال تعالى: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ (الأنعام: ١٢١).

لقد أصحبنا نعاني من عقوق الأبناء، واستهتار التلاميذ، وانتشار المخدرات، ومظاهر الفسق والفساد، والسبب أن كثيراً من غذاء أجسادنا إما بمال ربوي، أو لحوم غير شرعية، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أيما جسد نبت من الحرام فالنار أولى به».

فالذي يأكل الربا مصروع في الدنيا ممسوس بالنار في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾ (البقرة).

فهذا التخبط الذي يعاني منه اقتصادنا وأجيالنا ومجتمعنا بسبب هذا الشيطان الربوي.

أما اللحم الحلال فإنه فرض، فالذبح الحلال ضرورة إنسانية وإسلامية، فلا يجوز استيراد ذبائح ذبحها المشركون، وأما أهل الكتاب الآن فإن الشياطين يوحون إليهم بأن الذبح وفق الشريعة الإسلامية قساوة ووحشية، ولذلك شكلوا جمعية الرفق بالحيوان في إنجلترا، واتخذوا قراراً بعدم السماح بالذبح على الطريقة الإسلامية، وعمموا هذا القرار على جميع الدول المصدرة للحوم الحيوانية.

وهذا الأمر من الخطورة العظمى، بحيث نجد لها الحل، ولا حل لها إلا أن نقيم اتحاداً إسلامياً للذبح الشرعي، ونجعل له في كل بلد مصدراً مركزاً ولجنة تشرف على الذبح، وأن تقوم جميع وزارات الأوقاف على هذا الاتحاد وتدعمه، وإلا سيحل علينا وعيد الآية الأولى: (الفسق، والجدال العقيم، والشرك).

وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ٥٨﴾ (الأعراف).

الفهم السليم للواقع

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ (النور).

فكرت في هذه الآية كثيراً فاستبشرت خيراً، فالمتدبر لصفحات الجرائد وبعض الأقلام المناهضة للإسلام والمسلمين يخيل إليه أن الناس جميعاً قد أصبحوا يكرهون المتدينين، ويتمنون القضاء عليهم، هكذا يخيل للقارئ عندما يقرأ الصحف، ولكن من يتأمل في الآية السابقة يدرك بحق لا ريب فيه أن الله تعالى مع المؤمن الصادق مؤيدً وحافظاً.

وبيان ذلك أن الرسول صلى لله عليه وسلم كان في المدينة والصحابة كلهم ومجتمع المدينة يفديه بروحه وأهله وماله، ومع هذا عندما جاء حفنة من المنافقين قليلة، ومعهم عبدالله بن أبي بن سلول وقالوا كلمة السوء في عرض النبي صلى الله عليه وسلم، وتورط بها ناس قلة جداً من مجتمع المدينة، ورغم ذلك فقد ظل المجتمع في المدينة قرابة شهر كمل يخيل للذي يعيش فيه أن البغضاء قد سادت، وأن الأمور انقلبت، وأن النواميس قد تغيرت، فهل معنى هذا أن هؤلاء الخمسة الذين أطلقوا كلمة الإفك قضوا على الحب في القلوب، والمودة في الوجدان، وعلى الأيدي المباركة التي امتدت تبايع الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاء بالصلاة والزكاة والحجاب وجاء بالخير كله وجاء بالتشريع الرباني كله؟! هل انتهى كل ذلك بكلمة قالها عبدالله بن أبي بن أبي سلول المنافق في حق عائشة رضي الله عنها؟؟

الذي يعيش في جو المدينة عند إلقاء كلمة الإفك يحب بهذا، حتى أن

الصحابة كانوا في حزن عميق، والرسول صلى الله عليه وسلم يعقد مؤتمراً في المسجد فيقول: من يعذرني في رجل أصابني في أهلي؟ فيتبارى الصحابة في عرض الإتيان برأس قائل الإفك، فيقوم أسيد بن حضري ويقول: إن كان منا فمر أحدنا يأتيك برأسه، وإن كان من إخواننا الخزرج فمر أحدهم يأتيك برأسه، ويقوم سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه ويقول: كيف تأتون برأسه؟ فيقولون له: نأتي برأسك ورأسه؟... أنت منافق مثله، ويقوم شجار في المسجد والرسول يشير إليهم بالسكينة.

هذا هو ظاهر المسلمين في ذلك الحين، أما الباطن والحقيقة فغير ذلك تماماً، فمحمد صلى الله عليه وسلم هو رسول الله والدين هو الدين، والحق هو الحق، والله يقول: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ (الرعد: ١٧).

فأنزل الله في القرآن الكريم تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها، ورضخ المؤمنون لتوجيهات السماء، وانتهت المشكلة وتلاشت وازداد الصحابة حباً والتحاماً برسول الله صلى الله عليه وسلم.

من هذه الواقعة وهذا الواقع الذي نعيشه أول للأخوة الدعاة: عندما تطالعون ما يكتب عن المسلمين في هذا الزمان من قبل أعداء الإسلام فلا تحسبوا أنكم الآن في قلوب الناس كما يصوركم الخصوم في صحفهم، فالناس لا يزالون يحبونكم ويحترمونكم، ويعطفون عليكم، مهما حقد الحاقدون وتآمر المتآمرون، ونفخ في كير الفتنة والبغضاء النافخون، فإنكم في قلوب الناس وفي سمعهم وأبصارهم.

لهذا وصيتي لأحبابي وإخواني أن يتجاوبوا مع حب الناس لهم، وأن ينفتحوا

عليهم ويخرجوا من مجتمعهم الخاص إلى المجتمع العام، وأن يخالطوا الناس، وأن يدخلوا عليهم في أماكنهم العامة والابتسامة على وجوههم، وأن لا يقفوا من مشاكل مجتمعهم موقفاً سلبياً، بل عليهم أن يبسطوا لذوي المشاكل يد المساعدة والعون، وبذلك سيفهم الناس أن ما يكتب في الصحف ما هو إلا كلمات بعيدة كل البعد عن الحق والصواب، قُصد بها التشكيك والتضليل عن الحق.

وليكن لنا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة فصلوات الله عليه تعرض للإيذاء كثيراً، بالقول والفعل، ومع هذا لم ييأس بل كان يقابل الإيذاء بالإحسان قولاً وفعلاً، وبذلك كسب ود قريش والعرب والناس أجمعين، فكان يأتيه الرجل منهم قبل أن يسلم فيقوم ويستقبله، كما كان يفعل بعكرمة بن أبي جهل بعد إسلامه فقد أوصى صحابته فقال: «جاءكم مسلماً مهاجراً فلا تسبوا أباه فإنه (أي السب) يؤذي الحي ولا يصل إلى الميت».

فعلى شباب الدعوة أن لا يقفوا موقفاً سلبياً من إخوانهم إذا حلت بهم نائبة وأن يذكروا الناس أن بلدهم الكويت ونهضتها الحديثة والتي بدأت في الستينيات قد قامت على يد أبنائها الصالحين الطاهرين، وإن كل البلدان الإسلامية إنما بُنيت حضارتها ونهضتها بالأيدي المباركة المسلمة.

فكل واحد وفي أي قطر من بلاد المسلمين عليه أن يمد يده إلى كل المسلمين، ويشارك في أفراحهم وأحزانهم، ويعمل لحل جميع مشاكلهم، فيكسب ودهم ويدخل الخير إلى قلوبهم.

الابتعاد عن الشبهات

روي الشيخان والترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن الحلال بيِّن وإن الحرام بيِّن وبنيهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن تقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**».

هذا الحديث يبين أن الله ترك الناس على بينة واضحة من الحلال والحرام، ولكن تبقى هناك منطقة الشبهات يلتبس فيها أمر الحل بالحرمة على بعض الناس، إما لاشتباه الأدلة، وإما للاشتباه في تطبيق النص على هذه الواقعة أو هذا الشيء بالذات.

ومن حُسن التقوى وكمالها وهو ما يطلق عليه الورع، أن يترك المسلم هذه الأمور المشتبهات، ويبتعد عن مواطنها خوف الوقوع فيها، وعلى المسلم أن يبتعد عن مواطن المحرمات، ومواقع الشبهات.

فإني ما رأيت أسرع إلى السقوط في الفتنة كمثل مقاربتها والحوم حولها، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فأخبر أن الحلال بين، وأن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات..

ولكن ما المطلوب من المؤمن إزاء هذه الشبهات؟؟

المطلوب من المؤمن أن يبتعد عن هذه المشتبهات، فلا يقترب منها ولا يدخل

فيها، لأن الحديث قد شبه الذي يقترب من الشبهات كالحائم حول الحمى يوشك أن يقع فيهن، وإن لكل ملك حمى، وحمى الله في الأرض محارمه.

فكل ملك له دولة ولها حدود، وملوك الماضي كانوا يضربون الحماية على مواطن الأعشاب والماء في الأراضي الصحراوية، فيقال: الملك أو الأمير حماه من أرض كذا إلى أرض كذا أو من جبل كذا إلى جبل كذا، فيتركون إبل الملك وأغنامه ترعى فيها، لا يشاركه فيها أحد، وكان بعض الفقراء من الرعاة يقتربون من حمى الملك لتأكل أغنامه مما حوله، ولكن الأغنام لا تعقل وربما غفل الراعي قليلاً فتدخل غنمه حمى الملك، فيأتي الملك فيأخذه بجريرة جرمه هذا.

ولما ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المثل للقرب من الفتنة قال: «وإن حمى الله محارمه» أي التي حرمها الله سبحانه، كحرمة الشرك وحرمة الزنا، وتحريم شرب الخمر، وتحريم السرقة، وتحريم الربا، وأكل مال اليتيم، ومن دار حول هذه المحرمات أوشك أن يقع فيها دون أن يشعر، كما وقع هذا الراعي في حمى الملك، فقضى عليه وعلى أغنامه، والله سبحانه بعد أ، حرَّم علينا ذلك فمن وقع فيها فقد استحق قضاء الله العادل فيه وهو النار وبئس القرار.

وما أشد اقتراب العبد من الفتنة، وأحاديث الدجال تخبر عن هذه الحقيقة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «**وإن الرجل المؤمن ليسمع به فيقول: ما يضرني فما يدري إلا وهو يقترب منه فيكون من أتباعه**»، فقد وقع في حباله وشراكه، لما اقترب منه، فأصبحت النجاة من الدجال ليس في تحديه، أو القرب منه، وإنما النجاة من الدجال وفتنته، بالفرار منه والابتعاد عنه قدر المستطاع.

أما رأيتم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قال: «**الصيام جنة، فمن صام يوماً في سبيل الله باعد الله بينه وبين النار بخندق كما بين السماء والأرض**».

وفي حديث: «**سبعين عاماً**»، وفي حديث ثالث: «**مائة عام**»، فهذا دليل على أن الصائم بطبيعته يبتعد عن المحرمات بجميع أنواعها، فلا يسبُّ ولا ينظر نظراً حراماً، ولا يشتم، ولا يمشي في الحرام أو يتكلم به، ومن معاني الصوم في اللغة. الحبس: أي حبس النفس، فلما حبس نفسه عن الحرمات، باعد الله بينه وبين النار، كما بين السماء والأرض.

فالصائم باعد بينه وبين نفسه عن الحرام بصيامه هذا.

فانظر إلى مقاصد الشريعة الإسلامية في هذه القضية الخطيرة، فالإنسان الذكي الفطن المؤمن لا يجرب نفسه، فكذلك لا يجرب ربه فلا يقول: أنظر لأرى هل يثبتني الله أم يفتني، ويذهب فيجلس في مجلس فيه شرب للخمر أو يجلس مع الزناة والعصاة... إلخ، فإن فعل ذلك فسوف يتدخل عنصر ثالث مخصص للفتنة وهو الشيطان، لهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعيذ من شرك الشيطان فيقول: «وأعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه».

فالله سبحانه قد حذرنا من اتباع الخطوات التي يساير الشيطان فيها العبد العاصي فيقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ (البقرة).

وأول خطوة هي الجلوس مع العصاة..

وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضع العبد نفسه في مواطن الشبهات، فإن وجوده في مكان الشبهة أول مرة قد يدفعه للوقوع فيها واستحسانها وإتيانها.

فكم من إنسان أراد أن يجرب نفسه وكان مسلماً مطيعاً بعيداً عن الحرام، فقال في نفسه أجلس بجوارهم قريباً منهم ولا أجلس معهم فأكون بذلك بعيداً

عنهم ولكني أرى ماذا يفعلون... فيأتيه الشيطان ويغويه ويقول له: أنت قوي الإيمان والإرادة فاذهب معهم واجلس إليهم فإنهم لن يضروك، ويظل به حتى يوقعه في الحرام دون أن يدري.

لذلك نصح علماء النفس بأن يحذر المربون الأولاد من السيجارة الأولى، ومن الكأس الأولى، والمرأة الأولى، فتلك فواتح الأبواب، فإذا ما تفتحت الأبواب أوغل في الفتنة ودخل فيها.

وخير ما تنجو به من الفتن هو الابتعاد عن موطنها، والتي سمى الله سبحانه هذا الابتعاد (التقوى) فمن معانيها: أن تتقي النار أن تتقي الحرمات فهي حماية.

أسأل الله سبحانه أن يبعنا عن الفتن ومواطنها ومواردها، إن سميع مجيب.

موقف الإسلام من اليتيم

إن من أكبر الدلائل على تكذيب المرء بيوم الدين: (يوم يقوم الناس لرب العالمين)، انحراف الإنسان عن طاعة ربه، لأن المنحرف عن الطاعة لو أيقن بأنه سيأتي يوم يحاسبه فيه ربه عما قدمت يداه لما بدرت منه أدنى مخالفة لتعاليم الدين، وقد صور لنا القرآن الكريم هذه الحقيقة الملموسة بقوله تبارك وتعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ (الماعون).

فظلم اليتيم ذلك المخلوق الضعيف كما أفادت الآية، يعد دليلاً قاطعاً على تكذيب الظالم بيوم الدين والمتبع لسورة الماعون يوقن أن من لا يملك الإيمان بهذا اليوم لا يقتصر جرمه على ظلم اليتيم فحسب، بل يتعداه إلى جرائم أخرى، فتراه لا يحث على طعام المسكين، ويترك الصلاة، وإن أداها أدّاها ساهياً لاهياً منصرفاً عن التأمل في معانيها، ولا يقصد بأدائها سوى التظاهر أمام الناس فحسب، فكان جزاؤه الويل، أي الهلاك والنار.

فسورة الماعون تبين أن الحق تبارك وتعالى جعل أولى أمارات المكذب بيوم الدين: (ظلم اليتيم) لماذا؟

والجواب: إن الإسلام يرغب ويحث على ضرورة رعاية هذا المخلوق الضعيف، ويحذرنا من إيذائه، ولهذا جعل إيذاءه أول دليل على التكذيب بيوم الدين حتى يتجنب كل ولي لليتيم إيذاءه، ويعمل جاهداً لرعايته، وصيانة حقوقه، لأن اليتيم مكسور القلب مقهور بموت والده، فهو يحتاج إلى مزيد من الرعاية والعطف يدفع بهما القهر واليتم.

وما أكثر يتامى المسلمين في هذا الزمان، فقد زرنا في رحلتنا إلى الباكستان يتامى المجاهدين الأفغان في مأواهم، فوجدناهم على أسوأ حال، فهم يقطنون في بناء قديم، يحيط به سور له باب من الصفيح، وهذا البيت هو دنياهم يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، وعندما دخلنا عليهم شاهدنا ما تنشرح له الصدور، فقد استقبلونا بالأناشيد الإسلامية قائلين: شعارنا الجهاد، شعارنا الجهاد، شعارنا الجهاد، هذا عهدنا مع الله، ولن نخلف العهد مع الله، ولما طلبنا منهم أن يقرأوا القرآن تقدم يتيم في العاشرة من عمره وأخذ يتلوا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ (ق).

ولما انتهى من قراءتها تذكرت حديث النبي صلى الله عليه وسلم القائل فيه: «**إذا أردت أن يلين قلبك وتُقضى حاجتك، وينسأ في أثرك، فامسح على رأس اليتيم وأطعمه من طعامك**»، فقلت: أجرب هذا الحديث، فمسحت على رأسه وأنا أراقب انفعالات نفسه ووجهه في تلك اللحظة، لاكتشف السر العجيب الذي اختاره النبي صلى الله عليه وسلم في اختيار المسح على الرأس قبل كل شيء، فلما فعلت ذلك، احمر وجهه، وطأطأ به الأرض، ورفع طرف قميصه، وأخفى ابتسامة ظهرت على وجهه، وأدركت مدى شعوره وإحساسه بالحب والحنان من هذه المسحة، فلعله عاد بذاكرته إلى الوراء وتذكر دفء الوالدين وحنانهما يوم أن كان بين أيديهما، يرعيانه ويطعمانه ويمسحان على رأسه ويقبلانه كل صباح.

ولعل في نظرته إلى الأرض واحمرار الوجه، والابتسامة التي أخفاها بطرف قميصه، دار في ذاكرته كل ذلك، فقلت: سبحان الله، لقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم مسح رأس اليتيم ليجبر قلبه المنكسر، فأحسست ساعتها بخشوع ورحمة تغمر قلبي، ولم أتمالك دموعي التي فاضت من عيوني، وانعقد لساني

عن الكلام، وأصبحت لا أستطيع أن أتكلم بكلمة واحدة، وإنما الدموع تتدفق والقلب يخشع، وذلك إثر تلك المسحة.

وأخذت أتذكر كتاب الله وما جاء فيه عن اليتيم فتذكرت قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ (البلد).

فعلمت أن بيني وبين الجنة عقبة وجبلاً وصخرة يابسة كؤوداً، وحاجزاً بين كل مسلم وبين الجنة، ولا يمكن الفلاح والنجاح في اجتياز هذه العقبات إلا بكفالة اليتيم ورعايته، وإظهار العطف عليه، وذلك بالمسح على رأسه وإطعامه من نفس الطعام الذي نتناوله، وتخطي هذه العقبة لا يكون إلا بتحرير العبيد من الرق ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾، وإطعام اليتيم والمسكين لقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ (الإنسان).

وكلمة يطعمون بصيغة الحاضر (المضارع) تفيد ممارسة الإطعام من اليد إلى الفم، ولم يقل يأمرون بإطعام اليتيم، ويدفعون قيمة إطعامه، وإنما قال: ويطعمون هم بأنفسهم، وبأيديهم يضعون الطعام بحنان، وإشفاق في فم اليتيم، حتى يعوضوه حنان أبويه ورحمة والديه: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي حب الأجر والثواب من الله، أو حب الطعام العزيز على النفس إخراجه، أو على حب اليتيم وإطعامه، كل ذلك مما يحتمله المعنى.

أما قوله تعالى: ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ فقد وضع الله اليتيم بين المسكين والأسير حتى يتربع في الوسط كما يتربع الملك بين حاشيته، لأن قلبه مكسور مقهور.

وترغيباً في إكرام اليتيم يرفع النبي صلى الله عليه وسلم يده مشيراً

بالسبابة والوسطى وأصحابه ينظرون إليه فيقول: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين». ثم يبشر الساعين على الأرامل واليتامى بثواب المجاهدين فيقول: «الساعي على الأرملة واليتيم كالمجاهد في سبيل الله».

فالله جل ثناؤه ولي الصالحين، والله لا يضيع أبناء المجاهدين أبداً، كيف يضيعهم وهو يقول في القرآن عن اليتيمين الضعيفين صاحبي الكنز المدفون: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف: ٨٢).

فجعل موسى الوجيه عليه السلام وجعل الرجل الصالح - الذي عمله الله ما لم يعلم أحداً من العالمين - بناءين يبنيان جداراً من أجل يتيمين بسبب صلاح أبوهما.

فالساعي على اليتيم والأرملة والمسكين أياً كان هذا السعي، سواء كان دفعاً مالياً أو معنوياً فمردوده بركة في النفس وفي الأهل والمال والولد والدين، كما يبارك الله في كل ما ملك الإنسان من مال وولد وزوج وعمر، وفي حياته ومماته، ففي الآخرة يكون رفيقاً لمحمد صلى الله عليه وسلم، وليس بينه وبينه إلا ما بين أصبع السبابة والتي تليها لقوله صلى الله عليه وسلم: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**».

فعلينا أن نفتح لأنفسنا مجال هذا العمل فلا يكفي أن نعلم عن اليتيم أنه يتيم، بل يجب أن نكون من الساعين عليه، فاسعوا في كل مكان عن اليتيم وما عليكم إلا أن تسعوا، حتى يكتب لكم أجر المجاهدين في سبيل الله وبسعينا نكون قد حفظنا أيتام المسلمين، ورعينا أبناء الشهداء والمجاهدين، فكان اليتيم بيننا في أهله وفي بيته وفي مجتمعه، فلا يحس بالغربة ولا يشعر باليتيم.

من واجب المسلمين نحو المساجد

المساجد بيوت الله في أرضه، وزوارها عمّارها، ولبيوت الله تعالى قدسيتها ومكانتها واحترامها، لأنها مرفوعة بإذن الله تعالى، يقول سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ (النور).

وإذا كانت المساجد قد شيّدت بإذن الله تعالى لأجل عبادة الله تعالى، فلا يحق لأي إنسان أن يتصرف فيها تصرفاً شخصياً، حتى ولو اعتقد أن هذا التصرف لصالح بيت الله، اللهم إلا بعد أن يستأذن ولي الأمر، فعلى سبيل المثال لو أراد شخص فرش المسجد بفراش فوق فراشه، وكلفه آلاف الدنانير، ولكن الناس لا يرتاحون للسجود عليه لأنه يسبب لهم حساسية وارتضوا بالفراش العادي، فلا يحق له ذلك لأنه يوقع الضرر بالمسلمين، هذا التصرف يعتبر حسناً من وجهة نظر المتبرع، ففي هذه الحالة وأمثالها يتحتم الرجوع إلى ولاة أمر المساجد حتى لا يتحول الأمر إلى فوضى، وأيضاً يتعين على المسلم نحو بيوت الله تعالى أن يجنبها ما يشينها من الدنايا والسباب وغير ذلك من الأمور المستقبحة، والتي لا تتناسب مع قدسية المساجد وطهارتها، من ذلك إحضار الأطفال دون سن التمييز، أو إحضار الأطفال المميزين دون أن نلقنهم آداب المسجد، فمن يصطحب معه طفلاً إلى المسجد، فإن أحدث هذا الطفل بالمسجد شيئاً مشيناً، فإن الإثم على من أحضره، لا على الطفل، لأن الطفل لا تكليف عليه، يقول صلى الله عليه وسلم: «رفع القلم عن ثلاث: وعد منها الطفل حتى يبلغ»، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بأن نأمر أولادنا بالصلاة بقوله: «مروهم لسبع واضربوهم لعشر»، فليس معناه إحضاره

إلى المسجد بالصلاة بقوله: «مروهم لسبع واضربوهم لعشر»، فليس معنان إحضاره إلى المسجد وهو في سن السابعة، ولكن على ولي أمره تعليمه الصلاة في البيت، وبين الحين والحين يأتي به إلى المسجد، ويعلمه ما للمساجد من حرمة، وقداسة، وآداب، يعلمه كيف يدخل المسجد برجله اليمين، ويعلمه كيف يتوضأ وكيف يقف، وكيف يصلي... إلخ، فإذا رفض الولد الصلاة كان على الولي أن يضربه ضرباً غير مبرح، لقوله صلى الله عليه وسلم: «واضربهم عليها لعشر»، هذا مع مراعاة أن يسبق الضرب استعمال أسلوب التشجيع والترغيب، فإن لم يجد نفعاً آل إلى الضرب حتى لا يعود مرة أخرى إلى تركها.

فالمساجد إنما شيدت ليذكر فيها اسم الله، قال تعالى: (ويذكر فيها اسمه) أي رفعت المساجد وشيدت لأجل أن يذكر فيها اسمه، فقد قيل إن المقصود بالذكر الصلاة، وقيل الصلاة وغير الصلاة، مما فيه ذكر الله تعالى، ولا تعارض بين الرأيين، لأن الإنسان المصلي يذكر الله في المساجد ويلبي دعوة الله إلى الصلاة وإلى التسبيح لقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ (النور).

فالوقت ما بين الصبح والآصال هو الوقت المقصود وهو يستغرق اليوم كله.

ثم وصف الله رواد المساجد بقوله: (رجال) لم يقل سبحانه ذكوراً أو نساء، وإنما قال: رجال، لأن هذا الاسم أعني رجال لا يطلق إلا على من حمل صفات معينة مثل: الصدق والشجاعة والأمانة والإخلاص والتقوى... إلخ، فهم كما وصفهم الله في كتابه الكريم: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ (الأحزاب).

ليس معنى هذا أنهم لا يتاجرون أو أنهم لا يبيعون، إنهم يتاجرون دون

أن تلهيهم تجارتهم عن ذكر الله. وبعبارة أخرى أنهم يتاجرون فإذا سمعوا صوت المؤذن ينادي للصلاة هرعوا إلى المساجد لأداء حق الله عليهم، ولو طبق التجار ذلك وأغلقوا محلاتهم وذهبوا لأداء الصلاة في أوقاتها لما وجد في الطرقات متسكع ولذهب الجميع إلى الصلاة، ويصبح الناس عباداً محافظين على الصلاة في أوقاتها (وإيتاء الزكاة) أي من صفات المؤمن أنه يؤدي الزكاة إلى مستحقيها قبل أن يسأله سائل من الفقراء أو اليتامى أو المساكين...

لماذا كل هذا؟

الجواب: لأنهم ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾.

اللهم ألهمنا رشداً وجنبنا الزلل إنك على ما تشاء قدير.

القيمة الروحية والمادية للوضوء

على قدر طهارة الأبدان تطهر الأرواح، وعلى قدر طهارة الأرواح تستقيم الأبدان، وإذا سدت في النفس جوعة الإحساس بالمادة آمنت الروح بالغيبيات، فهذه حقائق بشرية نحسها ونلمسها في حياتنا.

والله خالق النفس البشرية ويعلم مداخلها ومخارجها، وحاجاتها وغرائزها ومتطلباتها، فكان من حكمته، ورحمته أن شرع ما يوازن بين حاجات النفس المادية والروحية، ومن هذه الأمور: أن شرع الوضوء حتى تستقيم النفوس والأجساد، ويوم أن يحس المخلوق أنه يقف بين يدي خالقه، وقد صافحت يداه صفحة الماء الطهور، وتساقطت خطاياه من مشافر عينيه عن غسل وجهه، وأطراف أذنيه وفمه، وتقاطرت من لحيته وخرجت من تحت أظافر يديه ورجليه، يعتز بهذا الرب ويحبه، ويقبل عليه بنفس مطمئنة، سليمة آمنة.

فالشياطين لا تتمكن إلا من الأجساد النجسة، فيعصفون عصفاً بالكافرين، تغتال أديانهم وعقائدهم وأخلاقهم وحياتهم، فتحولها إلى جحيم لا يطاق، وكلما أوغلوا في النجاسات الحسية أوغلوا بعدها في النجاسات الروحية المعنوية، فظهرت المذاهب والتيارات والأفكار الضالة الهدامة المنحرفة، فيعبدون الشجر والبقر والحجر والفرج والهوام والدواب والشيطان، وعبدوا كل شيء غير الله رب العالمين.

ويوم أن يتوضأ الإنسان ويتذكر دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم خلال الوضوء: «اللهم اغفر لي ذنبي وبارك لي في رزقي ووسع لي في داري» يدعو بذلك وهو يصافح بيمينه الماء الطهور، يبدأ بقوله: «اللهم اغفر لي ذنبي»، وهي بداية العلاقة بين العبد والمعبود من خلال مادة الحياة وهو الماء، الذي

ما لامس شيئاً إلا دبت فيه الحياة، فالأرض اليابسة إذا نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، وكم ينبت هذا الماء في النفوس البهجة والسرور والأنس والحب والود والرحمة والسكينة والاطمئنان، فإذا فرغ الإنسان من الوضوء وقال: «**أشهد أن لا إله إلا الله**» فيحس أن قلبه قد توضأ بعد جسده.

إن الإسلام يجمع في الإنسان بين طهارة الروح وطهارة الجسد، فتتوازن طهارة الروح مع طهارة الجسد، ولما للطهارة من أثر يأبى الله أن يمارس الجندي المسلم عبادة الجهاد في سبيل الله وفي ميادين القتال، حيث الغبار والأذى والدم والزخم والإرهاق، إلا أن يكون جسده طاهراً فأنزل سبحانه على أهل بدر يوم أن أصابتهم جنابة الماء يطهر أجسادهم به، قال الله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ (الأنفال).

فالأجساد المتوضئة، والأيدي والقلوب الطاهرة، هي التي تنتصر على نفسها أولاً، وعلى الشيطان ثانياً، وعلى العدو الكافر ثالثاً، وهي التي تتعلق بما عند الله سبحانه وتعالى من أجر ومثوبة.

فيا لها من نعمة عظيمة نمارسها كل يوم، فالإنسان السوي تشرق روحه وينفرج الهم والغم وتستأنس جوارحه عندما يصافح الماء الطهور كل يوم خمس مرات، وتسقط الخطايا عنه كل يوم خمس مرات، ويقابل الله بعد هذا الوضوء كل يوم خمس مرات، وتفتح له أبواب الجنة الثمانية بعد كل وضوء، أو في كل يوم خمس مرات.

فما تقول في هذا الإنسان؟

إن الوضوء وطهارة الأجسام لها علاقة وثيقة بطهارة الأرواح، فإذا طهرت

الأرواح أشرقت وامتلأت بالصفاء والهناء والمحبة والعطاء، وإذا أظلمت الأرواح بظلام الأجساد أظلمت الحياة وتحولت إلى حروب وسلب ونهب وإجرام.

والأيدي المتوضئة لا تسرق ولا تخطف ولا تبطش، والوجوه المتوضئة لا تنظر إلى الحرام ولا تكذب ألسنتها، وتستقيم حياتها، ويعتدل سلوكها، وفازت برضا ربها في الدنيا والآخرة.

إن الله سبحانه وتعالى يحب من عباده طهارتين، الطهارة الحسية من النجاسات والأرجاس، وترافقها الطهارة الروحية من الذنوب والمعاصي، وقد حث القرآن والسنة على هاتين الطهارتين وغالباً ما تأتيا مقترنتين في كتاب الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ (البقرة).

أي المتطهرين طهارة معنوية، والمتطهرين طهارة حسية، فجاءت الطهارة الروحية مقترنة بالطهارة الحسية، وأمرنا الله بالتزود من الأشياء المادية وحثنا على الزاد المعنوي فقال سبحانه:

فهذا تزود مادي وهو التزود بالطعام والراحلة من أجل الحج، ثم جعل بجواره (خير الزاد التقوى) وهو تزود روحي إيماني، فأتى بالتزود الروحاني بجوار التزود المادي، وأتى بالتطهر المادي بجوار التطهر الروحي.

وهكذا يجمع القرآن بين الاثنين: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ﴾ (الأعراف: ٢٦).

هذا هو اللباس المادي.

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ﴾ (الأعراف: ٢٦).

وهذا اللباس الروحي.

ومثل هذا الاقتران نجده في حياة المسلم وأفعاله، فإذا دخل المسلم الخلاء وقضى حاجته وتطهر منها فهذا تطهر مادي وحسي، وبعد خروجه من الحمام يقول: «غفرانك» - كما علمنا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم - فقوله: غفرانك فيه دعاء لله أن يطهره من النجاسات المعنوية من الذنوب وغيرها، فهي طهارة معنوية روحية.

وحتى في الدعاء نجد تلك المجاورة بين المادي والمعنوي من ذلك أن تقول: «**اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكّ أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها**»، ثم تقول في الدعاء كذلك: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الين وقهر الرجال**».

وتأتي هذا بجانب هذه، حتى لا يهتم الإنسان بجانب ويترك الآخر، بل يوازن بين الجانبين حتى تستقيم حياته على شرع الله ومنهجه.

نسأ الله السداد والتوفيق لما أمر به.

تأمل في طبائع الناس

إن من يدقق النظر في أحوال المسلمين يدرك تفاوتاً كبيراً في همهم، فهناك من الناس من همته شهوته، والآخر همته جاهه، أو ماله، أو جماله، أو دنياه ومتاعها الزائل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ (النساء).

وهناك صنف فريد من الناس همته في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعيش إلى جواره والعمل بتعاليمه.

يروى أن كعباً الأسلمي رضي الله عنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحبه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «سلني ما شئت»، فقال: أسألك رفقتك في الجنة يا رسول الله، قال: «**ألا غير ذلك؟**»، قال: لا بل هذا يا رسول الله، قال: «**أعني على نفسك بكثرة السجود**».

ويروى كذلك أن نسيبة بنت كعب الأنصارية رضي الله عنها جاءت في معركة أحد وألقت قربة الماء وامتشقت السيف وظلت تجالد عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي تقول لأبنائها عبدالله وحبيب: خوضا غمرات الموت ودافعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها ويقول لها: «من يطيق ما تطيقينه يا أم عمارة، سليني»، قالت: أسأل رفقتك في الجنة قال: «**اللهم اجعلها رفيقتي في الجنة، فما التفت يميني ولا شمال ولا أمامي ولا خلفي إلا وجدتها تقاتل دوني**».

ومما يروى كذلك أن عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه أنه قبل أن يتولى الخلافة كان يحيا حياة المترفين من الناس، فلما تولى الخلافة باع ما

يملك من دور وقصور وأخذ أموال زوجته ووضعها في بيت المال، وسكن داراً من الطين، وهرع إلى ربه وأعرض عن دنياه طلباً لرضاه موقناً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

فقالوا له: كيف فعلت ذلك؟ وكيف صبرت عليه؟ قال: أما كيف صبرت على ذلك فإنني كنت أدعو الله بهذا الدعاء: اللهم رضني بقضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت، واكفني كل هول دون الجنة، فكفاني الله أمر الدنيا والآخرة، وأما لما فعلت ذلك: فإن لي نفساً تواقة، ذات همة عالية، ما وصلت إلى شيء إلا تاقت لما هو أعلى منه، وقد تاقت نفسي اليوم إلى الجنة.

ولقد وصل منزلة ما فوقها إلا الجنة، فقد صارت إليه الخلافة وأصبح الآمر الناهي فتاقت نفسه إلا ما هو أعظم من الجاه والسلطان، تاقت إلى جنة الخلود فزهد في الدنيا ليعمر الآخرة.

وهذا أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب كانا يتسابقان إلى فعل الخيرات ولذلك أراد عمر أن يسبق الصديق فنزل عن نصف ماله لتجهيز جيش العسرة، ولكنه فوجئ بأن أبا بكر قد خرج من جميع أمواله لهذا الجيش، وورد أنه كان في زمن خلافة أبي بكر رضوان الله عليه امرأة عجوز عمياء، فكان يسابق عمر إلى خدمتها وإيماناً من عمر بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**كلم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»، قرر أن يسبق الصديق فيتعهدها بالرعاية، فيرش عريشها، ويكنس دارها، ويحلب شاتها، قبل أبي بكر، فلما صلى الفجر خلف الخليفة ذهب إلى بيت العجوز فوجد دارها مكنوسة مرشوشة وشاتها محلوبة، فقال لها عمر: يا أمة الله من فعل ذلك؟ قالت: أبو بكر جاء قبل الفجر ففعل ذلك

جزاه الله خيراً، فصاح عمر رضي الله عنه صيحته وقال: ما سابقت أبا بكر إلا سبقني، وما أسابقه بعد اليوم.

كيف استطاع أبو بكر أن يجد في ذاكرته حيزاً ولو صغيراً لهذه المرأة على كثرة مشاكل الأمة التي تراكمت عليه؟ إن الهمم العالية دائماً وأبداً تنتصر على نفسها وعلى شيطانها وعلى شهواتها، فتكون هي الغالبة والمنتصرة والتي تفوز برضا رب العالمين، ولنعلم علم اليقين أن الهمم العالية والنفوس التواقة إنما تعمل وتتعب لذلك، وتجاهد في سبيل الوصول إلى غايتها الكبيرة لأن العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم.. ومن صبّ نفسه صبر، ولذا نجد أصحاب الهم التواقة يربون أنفسهم على لزوم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم علماً وعملاً وهذا بدوره نمّا فيهم قوة العزيمة، فانطلقت أفعالهم انطلاق السهم نحو المعالي يضربون أصقاع الأرض جهاداً في سبيل الله، نصراً لدينه وإعلاء لكلمته، وتأييداً لرسوله.

كما دفعت الهمم العالية أصحابها لتقديم العلوم الإسلامية في موسوعات ضخمة يعجز عن مثلها العصبة من العلماء أمثال النووي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن حجر، وغيرهم كثير من العلماء الأفذاذ رضي الله عنهم جميعاً وألحقنا بهم في الهمة والعمل.

أخطاء شائعة ينبغي تجنبها

من يتأمل في أقوال بعض المسلمين يسمع منهم أقوالاً تجر إلى بطلان عبادتهم، بل قد تجر إلى كفرهم والعياذ بالله، ولقد رأيت في هذا المجال أن أتعرض لصور منها لنكن على حذر من الوقوع فيه حتى لا نبطل أعمالنا من حيث لا ندري ولا نشعر، أذكر من ذلك أنه كان لي أخ في الله وكان قد خيّل إليّ في أثناء صلاته للسنة أنه لم يكمل قراءة الفاتحة، فقلت له لما انتهى من صلاته ذات مرة اقرأ الفاتحة، قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم صراط الذي أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فترك الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. وتعود لسانه على ذلك ظناً منه أنه يقرأ الفاتحة، وهو لا يقرأ إلا بعضها وإذا سقط حرف واحد من الفاتحة في الصلاة بطلت الفاتحة، ثم بطلت بالتالي الصلاة، لأن قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة.

وكنت أسمع من أحد المصلين إذا فرغ من صلاة السنة يقول في الاستغفار: أستغفر الله (بفتح الفاء) فكأن الله هو الذي يستغفر وليس الإنسان، وكان من الأحرى والصواب أن يقول (أستغفرُ الله).

إن اللغة العربية دقيقة، فالحركة الواحدة قد تحول المعنى ما إيمان إلى كفر كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ (فاطر)، فلو وضعنا ضمة على لفظ الجلالة (الله) لتحول المعنى من إيمان إلى كفر، فكأننا نقول: إن الله يخاف من العلماء.

كذلك، فإن بعض المسلمين إذا ركع أو سجد ودون أن يشعر يجعل التسبيح في الركوع والتعظيم في السجود، فإذ ركع يقول: سبحان ربي سبحانه سبحانه،

ويقول في السجود سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، فقد جعل بذلك ذكراً مكان آخر، وتعود على ذلك الخطأ وسار عليه مع أنه يقرأ في الكتب ويسمع الإمام أو من بجواره يقول عكس ما يقوله هو ولكنه ل ينتبه.

وكثيراً ما نسمع البعض من الناس يبدأ يحوقل قائلاً: لا حول للّه، والحوقلة الصحيحة أن يقول لا حول ولا قوة إلا باللّه، وهي كنز من كنوز الجنة، كما قال الرسول صلى اللّه عليه وسلم.

أما العبارة الخاطئة: لا حول للّه فمعناها أنفي الحول عن اللّه، ونفي الحول عن اللّه نفي لصفة عظيمة من صفات اللّه وهذا كفر، وأكثر ما انتشرت هذه العبارة بين الممثلين في الإذاعة والتلفزيون، وعنهم أخذ الناس هذا الخطأ.

ولو ضربنا الأمثلة فهي كثيرة، وما قلته فهو قليل من كثير، وإنما أردت أن أعرض عليكم هذا لنتحرى الدقة مع التفكير فيما نقول، والتدبر فيه، حتى لا يفوتنا الأجر والثواب عند اللّه يوما القيامة.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، اللهم آمين.

البخيل

البخيل شحيح على نفسه وأهله ومجتمعه، فالمال كل همّه في الحياة، ولقد صوره القرآن الكريم تصويراً دقيقاً وعجيباً وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ (الهمزة).

فالآية تفيد بأن الهلاك مصير البخيل الذي جمع المال وانشغل بتعداده وحصره، ثم أخذ يخوض في حق الآخرين بالهمز والعيب والانتقاص من شأنهم، معتقداً أن في ذلك تغطية لعيوبه، وهو بجانب ذلك يعتقد أن الموت لن يأتيه، لأن الموت لا يأتي الأغنياء، بل يأتي الفقراء فيأخذهم، فهو بهذا الاعتقاد صار خاسراً في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا لا يحبه أحد، وفي الآخرة يذوق ألواناً من العذاب والذل، يقول الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ (الهمزة).

فالآيات تكشف بأن البخلاء تصعد النار إلى قلوبهم القاسية بعد أن يجمعهم الله جميعاً، فتطلع النار على قلوبهم فيؤصدون في نار جهنم كما كانوا يأصدون على الأموال في الدنيا، فالجزاء من جنس العلم، فإذ أراد أن يفتدي نفسه من عذاب الله، فإن الدنيا كلها لا تقدر على فدائه، ولا يقبل منه فداء، يقول الله تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ (المسد).

فالبخيل إذا تردى في النار لا يغني عنه ماله الذي جمعه وكرسه في الدنيا.

وقد وضح القرآن صورة البخيل التي تنبئ عن شدة بخله وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣﴾ (النساء).

فهو يرفض أن يعطي الناس قليلاً أو كثيراً مما أعطاه الله، وهو لا يقنع مهما أوتي من المال ولا يعطي منه، قال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ١٠٠﴾ (الإسراء).

وبعد أن ذكر لنا القرآن صوراً للبخيل في الدنيا شرع في ذكر صور له في الآخرة، فترى القرآن يصور حاله في الآخرة، حيث يُسمع نواحه وعويله على نفسه وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧﴾ (الحاقة).

ثم يتحسر على ضياع سلطانه في الآخرة فيقول: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَانِيَهۡ ٢٩﴾ (الحاقة).

وحينئذ يصدر الأمر الإلهي إلى ملائكة العذاب بقول الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢﴾ (الحاقة).

وذلك بسبب عدم إيمانه وعدم إعطائه الفقراء مما جعله منبوذاً مكروهاً في الآخرة والدنيا: ﴿فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥﴾ (الحاقة).

وليس له عذاب سوى الغسلين، والغسلين هو أوساخ أهل النار، ولا يقتصر العذاب على هذا فحسب، بل هناك لون آخر من العذاب للبخيل حيث تكوى جبهته وجنبه بما جمع من مال، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾ (التوبة).

وليعلم البخلاء أنهم يبخلون على أنفسهم.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ (محمد).

البخيل مكروه عند الله، مكروه عند الناس، وكفى بالبخيل كرهاً عند الله ما أعده الله له من عذاب مؤلم يطوقه في الآخرة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ (آل عمران).

وكفى بالبخيل كرهاً عند الناس قول زهير بن أبي سلمى:

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم

وهذه قصة موجزة تبين لنا مدى إجرام البخلاء، وسرعة انتقام الله منهم.

يحكى أنه كان بالعراق رجل بخيل جحود كنود حقود، لا يعرف الخير ولا يأتيه، وقد أغدق الله عليه من نعمه، فأعطاه مالاً كثيراً وقصراً كبيراً، وزوجة صالحة، وذرية كثيرة مباركة، وذات يوم مر على بابهم مسكين - رجل يحتطب على حماره - وقت الظهيرة وإذا برائحة الطعام تفوح من هذا القصر بجميع أصنافها، من المشويات والمقليات، فاشتهى الفقير الطعام، فقرع الباب طمعاً في طعام مما بقي عندهم بعد الغداء، فجاءت ربة البيت وقالت: من بالباب؟ قال مسكين أعطوه مما أعطاكم الله، فذهبت المرأة الصالحة وأحضرت له طعاماً، فلما خرجت لتعطيه رآها زوجها البخيل الحقود فقال: إلى أين أنت ذاهبة؟ قالت: إلى مسكين بالباب، قال: وهل نحن نكدح ونعمل ونجمع من أجل هؤلاء؟ أعيدي الطعام إلى المطبخ، قالت له: اتق الله يا رجل، فقد أكلنا وحمدنا الله وهذا الطعام زائد عن الحاجة، وإذا جاء الليل سنلقيه فدعني أطعم المسكين،

قال لها: أعيدي الطعام إلى القدور، فأعادت الطعام ثم خرجت إلى المسكين وهو ينتظر بالباب وقال له: يا هذا يرزقك الله وييسر لك خيراً من طعامنا، فإن زوجي منعني من أن أحضر لك الطعام، فانصرف يرحمك الله، فاغرورقت عينه بالدمع ونفثها دعوة مظلوم مقهور، فقال: اللهم إني أسألك أن تخلف لي خيراً من طعامهم، ثم سحب حماره وانصرف حيث ذهب إلى خربته التي يسكنها هو وأمه العجوز، فقدمت له أمه طعام الغداء وهو عبارة عن كسرة خبز يابسة فبلها في لماء ثم رش عليها قليلاً من الملح ثم التهمها ونام.

ومرت الأيام، وذات يوم قال الفقير لأمه العجوز: يا أماه إلى متى نحن هكذا؟؟ ألا تبحثي لي عن امرأة صالحة لها دار ومال أتزوجها فتكفينا هم الدنيا؟؟ قالت: ومن يرضى بك يا بني؟ إنك فقير معدم لا تملك داراً ولا مالاً، فقال: ابحثي وإذا كتب الله شيئاً يسره، فقامت أمه العجوز تسأل الجيران فأرشدتها إحداهن بأن هناك أرملة عندها دار ومال وأولاد وهي ترجو رجلاً صالحاً يقوم على شأنها، فذهبت أمه وخطبتها، وتزين الحطاب حسب مقدرته وزف إلى المرأة فلما دخل عليها نظرت إلى وجهه فقالت: وي!! كأني أعرفك؟ فقال لها: يا أمة الله، إني لا أعرف النساء فلا تظلميني، فقالت: لا بل وجهك ليس بغريب علي. ألست أنت الفقير الذي وقف ببابنا منذ ستة أشهر يريد طعاماً فطردناه؟ قال: بلى أنا هو!! فقالت: أتذكر دعوتك التي دعوت؟؟ قال: أذكر، قالت: لقد استجاب الله لك، فعندما انصرفت ركب زوجي الدرج يبحث عن الهواء البارد في السطح، فانزلقت رجله فسقط واندكت عنقه فمات... وها آنذا بين يديك قد أورثك الله خيراً من طعامه ورزقك داره وزوجته وأولاده وماله وقال: آمنت بالله وصدق الشاعر إذ يقول:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما تدري بما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخطئ ولكن لها أمد وللأمد انتهاء

وصدق الله إذ يقول: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ (الماعون).

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قاله: «**إن الصدقة تقي مصارع السوء**»، أي تحمي من النهاية السيئة.

نسأل الله تعالى أن يجنبنا البخل ويجعلنا من الذين ينفقون حتى لا تعلم شمالهم ما تنفق يمينهم.

العين حق

إن أسرار هذا الكون عجيبة، وإذا كان العلماء قد اكتشفوا مثقال ذرة من بعض عجائبه، التي لا تُحصى فإن ما خفي منها أعجب، يقول الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩﴾ (الحاقة).

فالآية أفادت أن هناك أموراً لا نراها، ولكننا نلمس آثارها، من ذلك إلحاق الأذى بالمرء إذا نظر إليه حاسد، فقضية العين قد ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

أما في الكتاب فهذا يعقوب عليه السلام لما رأى بنيه العشرة بكامل فتوتهم وقوتهم قال لهم واعظاً ومرشداً: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ (يوسف: ٦٧).

فقد قال لهم ذلك خشية أن تصيبهم العين أو يصيبهم الأذى من الحاسدين إذا رأوهم مجتمعين بقوتهم وفتوتهم.

وأيضاً صاحب الجنة الذي دخل جنته فقال مغروراً: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥﴾ (الكهف).

ولم يقل بنصيحة صاحبه الذي قال له: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩﴾ (الكهف).

فلما لم يعمل بالنصيحة واستبعد زوال جنته واستعظمتها عينه، كانت النتيجة: أن الله تعالى أحرقها ودمرها وجعلها حطاماً خاوية على عروشها، ولهذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يوصينا وصية الأب الرحيم بأمته المشفق عليها فيقول:

«**إذا رأى أحدكم من أهله ما يسره فليبرك**»، أي فيدعو بالبركة، ويقول أيضاً: «**استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود**».

فإن كنت بخير وأردت أن تحدث به حبيباً أو غير حبيب فلا تحدث بالخير كله، فإن من تحدثه ربما يكون محروماً فيصيبك بعينه فيزول خيرك، فمثال على ذلك: إذا كنت في وفاق مع أهل بيتك فلا تشيع ذلك فتخرج العين من المتحدث إليه فتصيبك فلا يستقيم حالك مع أهلك، وإذا كنت صاحب تجارة ومال وفير فلا تتحدث بكل ما تملك أمام الناس فلربما يكون المتحدث إليه ليس كذلك فيصيبك بعينه فلا تربح بعد ذلك أبداً.

وتؤكد السنة أن العين تؤذي وتهلك، يقول صلى الله عليه وسلم: «نصف أهل المقابر من العين»، ويقول كذلك: «العين تدخل الجمل القدر والرجل القبر»، ويقول صلى الله عليه وسلم: «**العين حق – العين حق**»، فقد حدث أن جيء له بفتى مصاب فقال عليه الصلاة والسلام: «**لعل به نظرة**»، أي بالعين، وكان صلى الله عليه وسلم خوفه من إصابة العين للحسن والحسين يرقيهما دائماً بقوله: «**أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة**»، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**هكذا كان يعوذ إبراهيم إسماعيل وإسحاق**».

فقضية العين كانت معلومة لدى الأنبياء، فلا يستهين بذلك أحد، وإنا لنرى آثارها في كثير من الناس، ومن رحمة الله بنا ورحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بعد أن بيّن لنا أن الإصابة بالعين حقيقة واقعة، وحذرنا من شرها بيّن لنا العلاج عند الإصابة بها، ففي الحديث الصحيح: أن نأتي الحاسد فيغسل يده ثم نأخذ هذا الماء ونغسل به المحسود فيشفى بأمر الله تعالى.

وبعد هذا البيان يتعين علينا أن نعمل بتعاليم رسول الله صلى الله عليه

وسلم في علاج المعيون مع اليقين بأن صاحب العين لا يستطيع أن يؤذي غيره إلا إذا شاء الله، لأن كل شيء لا يقع إلا بأمر الله تعالى وإرادته، قال تعالى:

﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١٠٢).

وقال عز من قائل: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ (التوبة).

الحاجز النفسي

رأى عمر بن عبد العزيز تقصيراً من أحد عماله فكتب إليه: «انظر إلى ما فسد عندك فأصلحه من قبل أن يأتيك من يصلحه فيفوز بالأجر وتقعد بالخسران».

وبعض الدعاة يريد دعوة سهلة وجاهزة ومعلبة لا تكلفه جهداً ولا حركة، وكم من الفرص الثمينة فاته الخير فيها لأنه لم يكلف نفسه قليلاً من التدبير!!

وإليك هذه القصة:

في يوم من الأيام زارني شاب من السنغال يدرس في الجامعة، ومعه زوجته، ويريد أن يعلمها اللغة العربية في المرحلة الابتدائية، فقمت معه إلى المخزن واشتريت له المنهج وأوصلته إلى البيت بسيارتي، فأعاد الزيارة يشكرني، فأخذته إلى المكتبة الإسلامية وأهديت له أشرطة وبعض الكتيبات، فطلب مني تعليمه الدعوة فعلمته ما هداني الله إليه.

وبعد عام تخرج من الجامعة، وجلس عاماً ثانياً من أجل أن يتعلم الدعوة إلى الله، ثم سافر إلى بلده ليكون داعية متفرغاً، وبنى المساجد، وأعد الشباب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كل هذا الخير حدث يوم أن كُسر الحاجز النفسي الذي بيننا وبين هؤلاء الناس، فلا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق.

الدعوة إلى الحسنى

ليس في الوجود أعظم من رسالة العلماء، فهم ورثة الأنبياء، ومن ثم فرسالتهم تبليغ دعوة الله إلى عباده على مر العصور والأزمان، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وتمجيداً لرسالتهم وإعلاء لفضلهم يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (فصلت).

فقد وصف الحق تبارك وتعالى قول الداعي إليه بالحسن: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾.

ومع الأسف أن بعض الدعاة إلى الله لا ينتبهون إلى عظمة رسالتهم في هذا الوجود فلا يجيدون الدعوة إلى الله، فتراهم يدعون إلى الإسلام بصورة تنفر الناس من الدين، فيمكن القول: إن هؤلاء الدعاة صورة سيئة للإسلام والمسلمين، ومن المتعين على هؤلاء أن يتفهموا رسالتهم حق فهمها، حتى يكونوا صورة مشرفة للإسلام تدعو على بصيرة وبينة بالحكمة والموعظة الحسنة امتثالاً لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ (النحل: ١٢٥).

إن مجال الدعوة إلى الله مجال شامخ البنيان، لا يصلح للقيام به إلا من رزقه الله في قلبه إيماناً صادقاً، وفي عقله علماً نافعاً، ولكن مما يحزن ويرثى له: أنك تجد بين الحين والحين من يقف بين المسلمين في المساجد أو في خارجها وتظن أنه من الدعاة، وبعد أن ينصرف من وقفته تجد الناس متبرمين منه متشنجين مما قال، لجهله وقلة علمه، وكان من الواجب على هؤلاء قبل

أن ينصبوا أنفسهم لهذه المهمة العظيمة (الدعوة إلى الله) أن يكونوا علماء عاملين، يقولون ويطبقون، ولكنك قد تجد بعضهم في موقف حزن مثلاً في المقبرة عند دفن ميت وأصحاب الميت قلوبهم منكسرة، وعيونهم دامعة، وهم يشيعون فقيدهم تجد أمثال هؤلاء الدعاة يخوضون معركة حامية الوطيس مع أهل الميت، قائلين: هل أنتم يهود؟ هل أنتم نصار؟ كيف تفعلون في القبر كذا وكذا... إلخ ما هنالك من عبارات جارحة.

وكان الأولى على هذا الداعية أن يشارك في لحد المتوفى، وأن يذهب إلى أهل الميت يعزيهم، ثم يبين لهم بهدوء ما يتوجب عليهم نحو الميت ودفنه.

على الداعية أن تكون دعوته خالصة لله تعالى، فلا يريد بها مدحاً ولا شهرة، أو ثناء، بل يبتغي بها وجه الله أولاً وأخيراً، فهو ملك الملوك، وهو قيوم السموات والأرض، وعليه أن يسلك في دعوته الحكمة والموعظة الحسنة.

الأخوة في الله

يسعى الإسلام بتعاليمه إلى تكوين مجتمع متحاب مترابط كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وتحقيقاً لهذا المبدأ الكريم يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ (الحجرات).

فهذه الآية القليلة الحروف، الكبيرة المعنى جعلت أجيالاً من المسلمين يتمثلونها في واقع حياتهم، فهذا رجل يحتاج أخوه إلى بعض المال، فيذهب إلى بيته ويقرع عليه الباب فتخرج الجارية، فيسألها: أين مولاكِ؟ قالت: خرج، فقال: أحضري لي ثيابه فإني أحتاج بعض المال. فذهبت الجارية وأحضرت ثياب مولاها، فمد يده في جيبه وأخذ ما يحتاج من الدنانير، ثم أعاد الثوب وانصرف.. وقال للجارية: إذا جاءك مولاك فقولي له: إن أخاك في الله جاءك وأخذ من مالك فأذن له في ذلك.

ولما عاد سيدها وقصت عليه الجارية ما حدث، فقال لها: يا أمة الله إن كنت صدقت فيما قلت فأنت حرة لوجه الله، قالها فرحاً وابتهاجاً لتتحقق معاني الأخوة بينه وبين أخيه في الله.

ولما التقى معه في الصلاة سأله عن ذلك فقال: نعم، فحمد الرجل ربه على هذه النعمة، ثم عاد مسرعاً إلى بيته وأعتق الجارية وشكراً لله وحمداً.

وهذا أخ آخر يحقق معنى الأخوة كما أرادت الآية الكريمة، يسير بجوار أخيه في حر الشمس ووهج القيظ ويتعمد أثناء السير أن يلقي ظله عليه، فلما كان وقت الرجوع قال له أخوه: الذهاب لك والإياب لي فسر في ظل جسدي كما وقع ظلك علي في الذهاب.

وهذا أخ آخر يزور أخاه في الله في بستانه فيقطف له قطفاً من العنب، وأعطاه إياه فأكله، ومد صاحب البستان يده ليأكل مع أخيه من العنب فوجده حصرما حامضاً لا يُؤكل، فقال له: يا أخي أكنت تأكل من هذا كل يوم؟ قال: نعم، قال: ولم لم تخبرني؟ فقال: ليس من حق الأخوة أن أكسر قلبك وأرد عناقيد العنب في وجهك، فكنت أصبر على حموضتها ومرارتها مراعاة لقلبك وأخوتك.

وهكذا كان المسلمون الأولون يحافظون على الإخوة في الإيمان حق المحافظة امتثالاً لأمر ربهم، ويقيناً منهم بالمبدأ القائل: (أنت بأخيك وأخيك بك)، وهب الشعراء ينادون بصدق الإخوة والمحافظة عليها ومن ذلك قول القائل:

احرص على حب القلوب من الأذى ... فرجوعها بعد التنافر يصعب

إن القلوب إذا تنافر ودها ... مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

إذا كنت في كل الأمور معاتباً ... صديقك لا تلقى الذي لا تعاتب

فعش واحداً أو صل أخاك ... فإنه مصادف ذنب مرة ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ... ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

فعلينا أن نحول هذا المعنى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ إلى واقع ملموس نعيشه، لكي نحس بالسعادة العظيمة التي يقول عنها أحد الصالحين: نحن في سعادة لو علم بها أبناء الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف.

ويذكر أن المأمون المسمى عصره بالعصر الذهبي حكى له أحد جلسائه عن أخ له قائلاً: إن لي أخاً كلما كدرته صفا، فقال له المأمون: ويك أعد ما قلت، فقال: إن لي أخاً كلما كدرته صفا، فقال المأمون: وهل يوجد على ظهر الأرض مثل هذا؟؟؟! أحضره إليَّ وخذ ملكي واتركني أعيش معه في كهف أو مغارة.

فالحياة مع الأخوة لا تقدر بثمن، هي من ساعات الجنة يصيبها الأخوة والأحبة على هذه الأرض، فالله ينادي الأخوين في الله يوم القيامة قائلاً: «أين المتحابون فيّ، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي».

وهم إذا التقوا في جنات النعيم قال الله عنهم: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧﴾ (الحجر).

اللهم نسألك أن تحقق معاني الأخوة في قلوبنا وفي واقع حياتنا آمين.

الإشاعة

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ (النساء). وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (الحجرات).

أشد ما تعاني منه الدعوات الطابور الخامس الذي يطلق حرب الإشاعات فيخلخل الصفوف ويفسد القلوب، ويقلب الموازين، فكم من إشاعة فتكت في المجتمعات فجعلت المتيقظين الحذرين لعدوهم، خاملين نائمين فاجتاحهم العدو وهم لا يشعرون، وكم من آمنين مطمئنين أقلقتهم الإشاعة وأزعجتهم، حتى أنفقوا في ردها جهودهم وأموالهم وعقولهم، ثم يتبين في النهاية أنه لا حقيقة لما يشاع، وأعداء هذا الدين لما عجزوا عن شراء الدعاة المخلصين ليكونوا وعاظاً للسلاطين يسبحون بحمد عروشهم وقروشهم أطلقوا الإشاعات عليهم، حتى يحطموا سور المحبة والأخوة في قلوب الناس الذي بنوه بالأمانة والثقة والصدق. من أجل هذا حذّر النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من أن يحدّث الآخرين بكل ما يسمع فقال: «بئس مطية الرجل زعموا»، أي بئست الإشاعة يركبها الرجل كما يركب المطية، وليس عنده دليل على صحتها إلا الزعم الباطل، وما يتناقله الناس. فليحذر الدعاة في مشارق الأرض ومغاربها من أن يكونوا أداة بأيدي المنافقين، فربّ كلمة ينقلها تتسبب بدمار دعوة أو أمة، والشاعر يقول:

رب لفظ جر آجال قيام ونيام

فاحذر الناس على الصحة منهم والمقام

مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام

حديث الجنود!!

بيَّن الله في كتابه أن النصر والهزيمة وحده، وليس للكثرة أو القلة علاقة في نهاية المعركة.

﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ (الأنفال).

فإذا كانت القيادة مؤمنة وقد أحكمت الخطة وأعدت العدة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ (الأنفال: ٦٠).

ثم توجهت تستغيث الله: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ (الأنفال).

وهنا يدخل المعركة جنود من قاعدة الرعب: ﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ (الأنفال: ١٢).

وجنود من قاعدة النعاس والأمن في ساعة القلق والأرق: ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ﴾ (الأنفال: ١١).

وجنود من قاعدة السحاب: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾﴾ (الأنفال).

وجنود من قواعد الوهن: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ (الأنفال).

وجنود من قواعد السموات السبع: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ (الأنفال: ١٢).

فمن كان الله معه فهو بالله كثير.

أيها الجنود المرابطون قولوا لأعدائنا: ﴿وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ (الأنفال).

فالهزيمة مصيركم: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾﴾ (ص).

من الفرعون الأول إلى الفرعون الآخر: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾ (البروج).

إنه الحصار الإلهي الأخير.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول «الرقائق»	٧
عجبت لمن	٩
ذكر الله وفضله	١٠
مصافحة القلوب	١٢
شموخ الطاغية وانكسار العاصي	١٣
هاجس الموت	١٤
العمل لما بعد الموت	١٨
المنتجع الربيعي	٢١
عيادة المريض	٢٢
مراقبة الله عز وجل	٢٥
الاستغفار	٢٨
حب الخير	٣١
من عطاء الله ورحمته	٣٣
الفصل الثاني: «في الحياة والدين»	٣٩
صفحات مشرقة لرجال الكويت	٤١
يوم الزينة	٤٢
عبرة وعظة من السيرة	٤٣
الوهن	٤٨

الموضوع	الصفحة
الجندي المجهول	٥٣
بيعة بلا حدود	٥٩
وعلى الظالم تدور الدوائر	٦٢
الأقصى الأسير	٦٥
التآمر على الأقصى	٦٩
شركاء القاتل	٧٠
الميلاد الظافر لسليمان خاطر	٧١
الرجال يحتاجون إلى أفغانستان وفلسطين	٧٣
يوم الجهاد	٧٤
الطيار اليهودي	٧٥
رجال الصومال	٧٦
معان جديدة	٧٧
العقل اليهودي والمال العربي	٧٨
استثمار القرار في السودان	٧٩
يا شعب السودان... انتبه	٨٠
الفصل الثالث: «في الجهاد»	٨١
الإسلام عقيدة وعبادة وعمل	٨٣
الكلام في صفات الله وأسمائه وأفعاله	٨٧
لكل ما يناسبه	٩١
الانحلال من قلة الحلال	٩٥

الموضوع	الصفحة
الفهم السليم للواقع	٩٧
الابتعاد عن الشبهات	١٠٠
موقف الإسلام من اليتيم	١٠٤
من واجب المسلمين نحو المساجد	١٠٨
القيمة الروحية والمادية للوضوء	١١١
تأمل في طبائع الناس	١١٥
أخطاء شائعة ينبغي تجنبها	١١٨
البخيل	١٢٠
العين حق	١٢٥
الحاجز النفسي	١٢٨
الدعوة إلى الله بالحسنى	١٢٩
الأخوة في الله	١٣١
الإشاعة	١٣٤
حديث الجنود	١٣٥